

السلسلة والغفارة

((مسرحية))

على أحمد البشير



مطبعة دار مكتبة مصر

السلسلة والغفلة

(مسرحية)

نال جائزة وزارة المعارف لسنة ١٩٤٩

تأليف

علي أحمد باكثير

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ .

(قرآن كريم)

الفصل الأول

المشهد الأول

(في منزل عبد التواب بن صالح المقدادى — حجرة واسعة في جناح الرجال مؤثثة تأثيثا فاخرا ينم على الثراء وسعة الحال .. أرائك وثيرة في صدر المسرح وعلى الجانب الأيسر منه ، وعليها وسائد موشاة بالحرير .. وأرض الحجرة مفروشة بالبسط الثمينة وعلى جدرانها نقوش زخرفية حسنة .. باب في أدنى المسرح على اليسار يؤدي إلى جناح الحريم وباب آخر في أقصى اليمين يؤدي إلى الباب الخارجى . الوقت ضحى) .

(يظهر عبد التواب جالسا على الأريكة والمصحف

في يده)

عبد التواب : (يتلو في خشوع) ... يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد !

(يطبق المصحف في أناة ويرفع رأسه فإذا عناه نديتان
بالدمع)

غفرانك يا ربى غفرانك ! (يغلبه النشيج) يا ويلتا .. ما
أعظم ذنبي ! ما أعظم ذنبي ! قتلها يا عبد
التواب وهى فى ريعان الشباب ونخت فيها صديقك
(يمسح دموعه) أترك يا غافر الذنب العظيم تغفر لى
ذنبي ! (يستوى قائما فيقبل المصحف ثم يضعه فى أحد
الرفوف) .

(تدخل صالحة)

صالحة : قد كنت الجناح كله يا مولاي كما أمرتنى ..
عبد التواب : (ينظر إليها بعطف) شكرا لك يا صالحة .. إنك لجارية
طيبة !

صالحة : (يتהלل وجهها بالبشر) تشكرنى يا سيدى .. أطال الله
بقائك ! ما أكرم خلقك .

عبد التواب : ويحك يا صالحة .. أتعجبين من شكرى إياك على حسن
خدمتك ؟ .

صالحة : أنا يا سيدى بطيئة فى العمل وقد حسبت أنك ستهنرنى
وتقول لى : ويلك يا هذه أقضيت الصباح كله فى
الكنس ؟

عبد التواب : كلا يا صالحة .. لن تسمعى منى لوما أبدا .. اتخذى هذا
البيت بيتك واعملى فيه كما تعمل صاحبة البيت فى بيتها ،

وإياك أن ترهقى نفسك .

صالحة : ما أكرمك يا مولاي .. الحمد لله الذى جعلك سيدى
وجعلنى أمتك ! هل تعدنى يا سيدى أنك لا تبيعنى
لغيرك ؟ .

عبد التواب : (مبتسما) كلا يا صالحة .. لن أبيعك لغيرى ...

صالحة : وأنت لا تعتقنى ؟

عبد التواب : ألا تحبين العتق يا صالحة ؟

صالحة : لا يا سيدى .. أحب أن أبقى دائما ملك يمينك !

عبد التواب : ثقى أنك ستبقين عندى ما حيت .

صالحة : بارك الله فى حياتك يا مولاي .. معذرة يا سيدى .. هل

تعيش فى هذه الدار الكبيرة وحدك ؟

عبد التواب : لا يا صالحة . ستجىء اليوم سيدتك آسية وستحبك وتحنو

عليك .

صالحة : أعطوف هى يا سيدى مثلك ؟

عبد التواب : بل خير منى يا صالحة .

صالحة : وأين هى يا سيدى منذ أمس ؟

عبد التواب : عند ابنتها الصغرى التى زفتها إلى بيت بعلها منذ أيام .

صالحة : (مستغربة) كيف يا سيدى ؟ أوقد صارت لك ابنة فى

سن الزواج ؟

عبد التواب : (ضاحكا) إنها ابنة أختى يا صالحة وأنا خالها .

صالحة : إذن فليست سيدتى آسية زوجتك ؟

عبد التواب : كلا ويلك .. إنها أختي .

صالحة : وأين يا سيدى زوجتك ؟

عبد التواب : مالى زوجة بعد يا صالحة .

صالحة : حفظ الله شبابك يا سيدى .. لم لا تتزوج ؟

عبد التواب : لما يأكذن الله يا صالحة .

صالحة : (ترونو إليه وتبتسم) ... ؟

عبد التواب : ما خطبك يا هذه ؟

صالحة : يا ليتك يا سيدى اشتريتني وأنا شابة ؟

عبد التواب : (يتضحك) كيف كنت فى شبابك يا صالحة ؟

صالحة : (تتنهد) رعباً لأيام الشباب ! كان كل من يرانى يعجب بى

ويستلطفنى . ألا تعلم يا سيدى أن سيدى الأول قبل هذا

الذى باعنى لك قد طلق زوجته من أجلى وكانت بيضاء

كالشمعة ، ولكنه عشقنى وتسرانى ، وكان — رحمه

الله — لا يدعونى إلا عنبرة ؟

عبد التواب : (يستلقى على الأريكة ضاحكاً ثم يجلس ويقول لها

مداعباً) ما زلت بخير يا صالحة وما زال لك لون العنبر

ونفاسته !

صالحة : (فى دلال وعجب) مولاي !

عبد التواب : (باسمها) نعم يا عنبرة !

صالحة : هيهات يا سيدى .. أنت شاب فى سن ولدى .. آه لو

كنت كهلاً فى الخمسين مثلى !

عبد التواب : (يضحك) ما أظرفك يا صالحة .. أتمنين لي الكبير قبل الأوان ؟

صالحة : معاذ الله يا سيدى بل أرجو لك الصحة ودوام الشباب وأتمنى لك زوجة شابة حسناء تكون قرّة عين لك !
(يسمع قرع من ناحية جناح الحريم)

عبد التواب : انظري يا صالحة .. من يقرع الباب هناك .. لعلها سيدتك آسية قد جاءت .

صالحة : سمعا يا سيدى (تنطلق خارجة من اليسار) .
عبد التواب : ما أظرفها من جارية .. لقد استطاعت أن تنسينى همى ساعة من الزمان . أواه متى يزول هذا الغم الجاثم في صدرى ويعود لي ذلك الانشراح القديم . هيهات يا عبد التواب . هيهات . هذا طائر الإثم قد ألزمك الله في عنقك !
(تدخل صالحة في شيء من الاضطراب)

عبد التواب : ماذا وراءك يا صالحة ؟

صالحة : لقد طلعت لي بالباب رجل يا سيدى لا امرأة !

عبد التواب : رجل !

صالحة : نعم .. أراد أن يقتحم الباب فقلت له حتى أستاذن له عليك وقد زعم لي أنه أخوك فهل لك يا سيدى أخ كبير السن ؟

عبد التواب : ويلك يا صالحة .. هلا فتحت له الباب .. هذا أخى عبد الجواد .

صالحة : لكنه في مثل سنى يا سيدى ولا يشبهك !
عبد التواب : (بين التقطيب والابتسام) ويلك .. ليغضبن الساعة
عليك ويشتمنك !

(يخرج منطلقا ليفتح له)

صالحة : (تردد في الحجرة حائرة لا تدرى ماذا تصنع) يا
ويلى .. أخوه في مثل سنى . هذا يصلح أن يكون أباه .
أتراه يقطن معه في هذا المنزل ؟ ترى هل له زوجة ؟ أم هو
أعزب مثل أخيه ؟ عجباً .. كيف يبقى مثل هذا الشيخ
أعزب إلى اليوم ؟ ..

(يدخل عبد التواب ومعه عبد الجواد)

عبد الجواد : (مغضبا) ويل السوداء ! تمنعنى من الدخول وتوصد
الباب فى وجهى !

(يلمح صالحة التى حاولت أن تتوارى خلف ستائر

الباب الأيمن) ها هى اللخناء الفاعلة !

عبد التواب : اعذرها يا أخى فهى جارية جديدة لا تعرفك .

عبد الجواد : قلت لها إننى أخوك فما أبهت لقولى !

عبد التواب : لعلها استغربت يا أخى أن تجيء من باب الحريم فراها
ذلك .

عبد الجواد : إنى لا أجيء دائما إلا من باب الحريم . هذا ديدنى .
(يجلس) .

عبد التواب : (يجلس) ما جاءت إلا منذ أمس فمن أين لها أن تعلم ؟

(يلتفت إلى صالحة) اذهبي يا صالحة فاصنعي لنا شراب
ليمون .

صالحة : سمعا يا سيدى . (تتقدم وهي تنظر في خوف إلى عبد
الجواد)

عبد الجواد : ما خوفك يا هذه منى ؟ أشيطان أنا عندك ؟

صالحة : كلا يا سيدى .. ما أنت بشيطان !

عبد التواب : (يضحك) إنها طيبة القلب جدا يا عبد الجواد .. هل
تحسنين صنع شراب الليمون يا صالحة ؟

صالحة : نعم يا سيدى . إني أحسن صنعه .. كنت أصنعه لمولاي
الأول وكان — رحمه الله — لا يشربه إلا من صنع يدى ..
أما مولاي الثانى الذى باعنى لك ..

عبد الجواد : (مغضبا) ويلك يا ثرثارة ! مالنا يا قطعة الليل ولمواليك
الأول والثانى والثالث والرابع ..

صالحة : (مقاطعة) ليس لى مولى رابع يا سيدى .. أخوك هذا هو
مولاي الثالث والأخير .

عبد التواب : (باسما) اذهبي يا صالحة فاصنعي لنا الشراب .

صالحة : سمعا يا مولاي (تخرج) .

عبد الجواد : أين آسية يا عبد التواب ؟ ألم ترجع بعد من عند الرباب ؟
عبد التواب : لا لم ترجع بعد .

عبد الجواد : أتريد البقاء عند زوج ابنتها إلى الأبد ؟

عبد التواب : ما مضى لها هناك غير ثلاثة أيام وهذا الرابع وما أحسبها

تتخلف اليوم عن المجيء . هذه عادة أمهات العرائس يا عبد الجواد .

عبد الجواد : ما أصغر عقول النساء وأسخف عاداتهن !

عبد التواب : وللرجال كذلك عادات سخيفة .

عبد الجواد : هانتذا قد زوجت بناتها كلهن ، فهل لك اليوم يا أخى أن تلتفت إلى أولادى ، فليس من العدل أن تختص ببرك أولاد أختك دون أولاد أخيك !

عبد التواب : أما تنفك يا عبد الجواد تلومنى فى أختك الأرملة وبناتها اليتيمات ؟ من ذا يعولهن إن لم أعلهن ؟

عبد الجواد : إنك لا تعولهن فحسب بل تعطيهن أكثر من حاجتهن .. هذه الرباب أمهرتها خمسمائة دينار غير الجارية التى أهديتها لها ، فقيم هذا الإسراف فى النفقة ؟ لقد كان يكفى أن تعطيهما خمس هذا القدر .

عبد التواب : لا أستطيع يا عبد الجواد أن أقصر بها عن أخواتها من قبل .
عبد الجواد : أجل .. قد أضعت مالك كله فى الإنفاق على بنات الأجنبي الغريب وتركت أولادى وهم عصبتك وأولاد أهلك !

عبد التواب : إنهن بنات أختنا يا عبد الجواد ..

عبد الجواد : أما سمعت الشاعر يقول :

بنونا بنو أبنائنا ، وبنائنا

بنوهم أبناء الرجال الأبعاد ؟

عبد التواب : دعك يا أخى من هذا اللغو ، فبنات أختنا هن بناتنا . وبعد
فإني ما قصرت في البر بأولادك أيضا على قدر المستطاع .
عبد الجواد : إنك ما منحتهم عشر ما منحت لبنات آسية .

عبد التواب : ذلك لأن أباهم موجود فهم في غنى عن مساعدتي بخلاف
هؤلاء البنات المسكينات .

عبد الجواد : كل هذا من آسية ! تأبى إلا أن تستأثر بك من دوني ودون
أولادي ! .

عبد التواب : حنانك يا أخى .. إنك ذو منصب طيب في الدولة ولك
منه راتب كبير .

عبد الجواد : أتظن أن راتبي هذا يكفيني ويكفي عيالي ؟ ألم تعلم بأن
الأمير أحمد بن طولون قد اشتدت حاجته إلى المال المناهضة
أبى أحمد الموفق في بغداد ؟ فعمد إلى رجال دولته وأمر أن
تنقص رواتبهم ؟

عبد التواب : فكم نقصوا من راتبك ؟

عبد الجواد : خمسة عشر دينارا .

عبد التواب : فقد بقي لك ستون دينارا فهل تنفق هذا المقدار كله ؟ .

عبد الجواد : ويملك يا أخى .. أتريد أن أنفق كل دخلي دون أن أدخر
شيئا لأيام شيخوختي واعتزالي العمل ؟

عبد التواب : ادخر ما تشاء ولكن لا تلمني على البر بأولاد أختي
وأختك !

عبد الجواد : كن عادلا في برك ولا تظلم أولاد أخيك .

عبد التواب : لو كان أولادك في مثل احتياج بنات أختي لكفلتهم مثلهن .

عبد الجواد : وهل يملك أولادى شيئاً يا عبد التواب ؟ إنهم فقراء لا يملكون دانقاً ..

عبد التواب : لكن أباهم يملك ما يكفيه ويكفيهم .

عبد الجواد : أتكننى ويملك إلى الستين الدينار التى لا يعطونها لى إلا بعد أن أقضى شهراً كاملاً فى عمل ينقض الظهر ، وأنت تكسب مثلها وأضعافها فى تجارتك من صفقة واحدة فى ساعة واحدة ؟

عبد التواب : أحمد الله يا أختى إذ كفيتك الإنفاق على أختك وبناتها وإلا لوجب ذلك عليك .

عبد الجواد : ولكن الله وسع عليك فما ضرك لو عطفت على أولادى أسوة ببنات آسية ؟ هذا ابنى محمد أريد أن أزوجه فاجعل له خمسمائة دينار مثل الرباب .

عبد التواب : لا طاقة لى اليوم بهذا القدر يا عبد الجواد ولكنى سأجعل له مائة دينار إن شئت .

عبد الجواد : ما تصنع مائة دينار ؟ هذه لا تكفى حتى لمهر الفتاة التى سيتزوجها .

عبد التواب : إنى اليوم فى عسر يا عبد الجواد وما عندى من فائض المال شىء .

عبد الجواد : أنت جنيت هذا على نفسك . ما كفاك تبذيرك على بنات

آسية حتى تصديت لمرضاة أصحاب الديون التي على
قاسم المغربي وهو أجنبي عنك لا يمت إليك بقربى ولا
رحم .

عبد التواب : إنه صديقي ورفيقي في التجارة يا عبد الجواد .. إن أقلت
عثرته اليوم فرما يقيـل عثرتي غدا .

عبد الجواد : يا ليتني كنت صديقك لا أخاك . الصديق أفضل عندك
من أخيك .

عبد التواب : معاذ الله يا أخي ولكن هذا الرجل منكوب قد حبسه
القاضي للدين الذي عليه ، ولست بحمد الله كذلك .

عبد الجواد : أتريد أن تنتظر لي حتى أحبس في الدين لكى تساعدني
وتقيـل عثاري ؟ أو لست أولى بمالك من ذلك الأجنبي
البعيد ؟

عبد التواب : قلت لك إنه رجل منكوب وقد ضاغت نكبته وفساة
زوجته المسكينة وهو في الحبس (يبدو عليه الأسى
الشديد) واما عليها .. قضت لحبها في ميعة الشباب من
كمد عليه !

عبد الجواد : أراك شديد الحرقه والتوجع للزوجة المتوفاة فلعلك تريد أن
تنفق أيضا على أمها وأختها لتثبت للناس أنك أكرم من
حاتم .

عبد التواب : والله ما قصدت بعملى التكرم وإنما ابتغيت وجه الله مؤملا
عفوه وغفرانه ! (يترقق الدمع في عينيه) .

عبد الجواد : عجبا .. إنك لتبكى .. ليت شعري لم لا يكون لذوى
رحمك نصيب من رأفتك ؟ الأقربون يا عبد التواب أولى
بالمعروف !

عبد التواب : ويحك يا أخى .. أليست آسية وبناتها من ذوى رحمى ؟ .
عبد الجواد : بلى ، ولكنى وأولادى أيضا منهم !
آسية : (يسمع صوتها تنادى من الداخل) يا عبد التواب ! عبد
التواب !

عبد التواب : هذا صوت آسية قد جاءت من عند الباب !
عبد الجواد : (ينهض) إني إذن منصرف .. السلام عليكم !
عبد التواب : ألا تسلم يا أخى على أختك ؟
عبد الجواد : لا أكلمها ولا تكلمنى .
عبد الجواد : ابق يا أخى .. سأصلح ذات بينكما .
عبد الجواد : كلا .. لا أريد مصالحتها (يتوجه نحو الباب الأيمن) أين
المائة الدينار التى طابت بها نفسك لمحمد ابنى ؟
عبد التواب : انتظر قليلا .. سأحضرها لك .

آسية : (صوتها) عبد التواب !
عبد الجواد : كلا .. لن أنتظر .. سأبعث محمدا لأخذها منك
(ينظر إلى البسط التى يطاء عليها) هذه البسط النفيسة
ليس عندنا منها شيء .. ألا تنزل لمحمد عن واحد منها يجمل
به غرفته فى أيام عرسه ؟
عبد التواب : سأعطيه واحدا منها إذا جاء .

عبد الجواد : إنه يحتاج إلى بساطين أحدهما له والآخر لعروسه ولكنى لم
أشأ أن أثقل عليك .

عبد التواب : سأعطيه البساطين والمائة الدينار .

عبد الجواد : نعم .. أعطه البساطين والمائة الدينار .

عبد التواب : ألا تبقى حتى تصيب من شراب الليمون الذى تصنعه لك
الجارية ؟

عبد الجواد : أعط نصيبى لآسية ! (يخرج)

آسية : (صوتها) عبد التواب !

عبد التواب : ادخلى يا أختاه .. ما عندى أحد .

(تدخل آسية وعليها قميص الخروج لم تخلعه عنها بعد)

آسية : من كان عندك ؟ عبد الجواد ؟

عبد التواب : نعم .

آسية : خرج من عندك لما سمع صوتى !

عبد التواب : كلا يا آسية .. كان يود البقاء لولا أن أمراها ما أعجله .

آسية : بل كره رؤيتى .. ماذا جاء به اليوم إليك ؟ لعله كلمك فى

شأنى وشأن بناتى كدأبه !

عبد التواب : لا يا أختى .. إنما جاء يلتمس منى شيئا لزواج ابنه محمد .

آسية : فهل أعطيته شيئا ؟

عبد التواب : وعدته بذلك .

آسية : لكنك قد أعطيته لزواج ابنه هذا مائتى دينار من قبل . فهل

نسيتها يا عبد التواب ؟

(السلسلة والغفران)

عبد التواب : لا ما ما نسيتها ولكنه طلب منى المزيد .

آسية : يا أختى إنه يريد المال لنفسه وإنما اتخذ زواج ابنه وسيلة لاستدراار المال منك . هذا البخيل الطماع لا يشبع أبدا من جمع المال . تباله .. يستجديك وهو أغنى منك !

عبد التواب : إنه شكالى أنهم نقصوا راتبه .

آسية : ماذا يضيره ذلك وقد كثر القناطير المقنطرة ؟ لقد ظل يجمعها وينميها من عشرين سنة .

عبد التواب : هوئى عليك يا أختى فما وعدته إلا بمائة دينار .
آسية : أنت أولى بها منه .

عبد التواب : إنما أعطيه من أجل أولاده المحرومين .

آسية : أبوهم هو الذى يحرمهم ويضيق عليهم فما ذنبك أنت ؟
عبد التواب : ألا ترضين عنه يا آسية فإنه أخونا الأكبر ؟

آسية : هو الذى بدأنى بالإساءة دون أن أسىء إليه . حسبى الله منه ! ما كفاه أنه ييخل على وعلى بناتى بالدائق حتى يحرضك علينا لتمنعنا من برك ! الحمد لله الذى أغنانا عنه

عبد التواب : إنه يقول مالا يعنى فلا تعبئى بكلامه .

آسية : كلا بل يعنى كل كلمة مما يقول .

عبد التواب : لقد كنت تحتملين شدته وجفاء طبيعه فما الذى غيرك يا آسية ؟

آسية : لقد طفح الكيل يا عبد التواب .

عبد التواب : ألمست أنت التي غاضبتة وعالتته بالقطيعة ؟

آسية : بلى .

عبد التواب : علام يا أختاه ؟ هلا تسعينه كما وسعته من قبل ؟

آسية : إني لم أخبرك بما فعل خشية أن أؤسفك . فأما إذ سألتني فاعلم أنه جاءني ذات يوم فناشدني ألا أكلمك في الزواج مرة أخرى وزعم لي أنك إن تزوجت فسينقطع برك عني وعنه .

عبد التواب : (يتضحك) فماذا قلت له ؟

آسية : قلت له إن الله موجود وقد كفل لكل مخلوق رزقه . فأسمعني كلاما ما سمعت أسوأ منه ولا أشنع . قال لي إني استأثرت بك لي ولبناتي من دونه ودون أولاده ، حتى إذا شبعت وشيعن أردت أن أزوجك لتستأثر بك امرأتك بعدى وبعد بناتي فلا يبقى له ولأولاده في برك مطمع !

عبد التواب : الحق يا آسية أننى أخشى عليك من زواجسى ، فالزوجات — ما علمت — يغرن من الأخوات ويولعن بإبائهن ومخاصمتهن .

آسية : ويحك يا أخى .. إني أصبحت اليوم امرأة عجوزا وأنت بمنزلة ابنى وسأأخذ امرأتك كما حدى بناتي .

عبد التواب : والزوجات يغرن من الأمهات أيضا يا آسية .

آسية : كلا يا عبد التواب .. لا ينبغي أن تقضى عمرك كله أعزب من أجلى . لقد كنت تقول لي دائما حين أكلمك في

الزواج إنك ستزوج بعد أن تزوج بناتي . وها هي الرباب
أخراهن قد زفت إلى بعلها في ظل نعمتك ، فماذا تنتظر
بعد ؟

عبد التواب : دعينا الآن من هذا وحدثيني كيف حال الرباب ؟
أمسرورة هي في عشها الجديد ؟

آسية : لم لا ؟ وقد اخترت لها بعلا ناهيك به من بعل ؟ أبقاك الله
يا أخى لنا جميعا ورزقك الزوجة الصالحة .

عبد التواب : أما تشعر هناك بشيء من الوحشة ؟

آسية : هونا ما كدأب الفتيات لأول عهدهن بفراق أهلهن ،
ولكن هذا لا يلبث أن يزول .

عبد التواب : والله لقد أوحشني فراقها يا آسية . لقد كانت أنس هذه
الدار ففاض .

آسية : لماذا لم تحيى لزيارتها أمس كما وعدت ؟ لقد ظلت طول
اليوم تترقب مجيئك .

عبد التواب : يا ويحها .. لقد شغلتنى عن ذلك الشواغل يا آسية .

آسية : إنها وجدت لك بين العذارى اللواتي شهدن زفافها عروسا
حسنا تصلى لك ، وكانت تريد أن تكلمك في شأنها لو
حضرت .

عبد التواب : ترى من تكون تلك التى اختارتها لى الرباب ؟

آسية : كوثر بنت إسماعيل المرزوق .. إنك تعرفها يا عبد
التواب .. كانت تلعب هنا مع الرباب قبل أن تحجب .

- عبد التواب : أجل أعرفها .. هذه صغيرة جدا .
- آسية : نعم إنها حديثة السن ولكنها نامية حسنة النبات .
- عبد التواب : لكن أباهما كان جنديا ، وفي بنات الجنود جفاء وشراسة .
- آسية : كلا يا أخى .. هؤلاء من بيت كريم ولا يشبهون الجنود .
- عبد التواب : ألا تخشين أن تكون سبيا في إزعاجك وتكديرك ؟
- آسية : يا أخى ثق أنها ستكون لى بمنزلة الرباب .
- (تدخل صالحة تحمل قدحين من شراب الليمون) .
- آسية : نسيت أن أسألك عن هذه الجارية الجديدة . متى اشتريتها
- يا عبد التواب ؟
- عبد التواب : اشتريتها أمس . (لصالحة) هذه سيدتك آسية يا صالحة .
- صالحة : سيدتى أختك يا مولاي ؟
- عبد التواب : نعم .
- صالحة : وأين ذهب سيدى أخوك يا مولاي ؟
- عبد التواب : إنه خرج يا صالحة .. استبطأ شرابك فأنصرف .
- صالحة : معذرة يا سيدى .. لقد سهوت فعصرت الليمون قبل أن
- أذيب السكر فاستعصى عليّ وبقيت أحركه ..
- أحركه .. وهو لا يريد أن يذوب .
- (يضحك عبد التواب وآسية) .
- آسية : ويحك يا صالحة .. أما تعرفين صنع شراب الليمون ؟
- صالحة : بلى يا مولاي .. كنت أجيد صنعه أيام كنت عند مولاي

الأول — رحمه الله — فقد كان يحب هذا الشراب . أما
مولاي الثاني الذي باعني لمولاي أخيك فما كان يشربه ،
ولذلك نسيت طريقة صنعه عنده .
(يتضحك عبد التواب وآسية وهما يتناولان الشراب
منها) .

آسية : أراها خفيفة الروح يا عبد التواب !
صالحة : شكرا لك يا مولاتي ... كان مولاي الأول — رحمه
الله — كثيرا ما يقول لي ذلك ، وكنت شابة حلوة إذ
ذاك .

عبد التواب : وكان يسميك عنبرة !
صالحة : نعم .. كان لا يدعوني إلا عنبرة .. رحمة الله عليه .. لقد
كان شابا جميلا مثلك يا مولاي . (يضحكان) حدثيني
يا سيدتي لماذا لا يتزوج مولاي عبد التواب ؟
آسية : (تضحك) سيتزوج عما قريب يا صالحة .
صالحة : قد قلت له آنفا لا ينبغي لمثله أن يبقى بدون زوجة .
آسية : صدقت يا صالحة .
صالحة : وخبريني يا سيدتي لماذا بقي مولاي غرائقا بخلافكما أنت
وسيدي عبد الجواد ؟

عبد التواب : (يقهقه ضاحكا) أما إنك لجارية عجيبة !
آسية : (تغالب الضحك) إنه أصغر أولاد أبينا يا صالحة .
صالحة : ووجهه يختلف عن وجوهكما !
آسية : (تضحك) أجل يا صالحة .. أنا وعبد الجواد من أم ،

- ومولاك عبد التواب من أم أخرى .
- صالحة : لكنك أشبه بمولاي عبد التواب في لطفه ودمائة خلقه ،
ولست كسيدي عبد الجواد في ...
- عبد التواب : (يضحك) فيماذا يا صالحة ؟
- صالحة : (تنظر إلى آسية) أخشى إن قلتها تغضب سيدتي آسية مني
لأخيها الشقيق .
- آسية : كلا يا صالحة قولها ولا حرج .
- صالحة : في فظاظته وسلاطة لسانه ! (يستغرقان في الضحك) .
- آسية : ماذا صنع بك يا صالحة ؟
- صالحة : ماذا صنع بي ؟ سلى مولاي عبد التواب بخبرك .. لقد
نهرني نهرة خضخضت أحشائي وكاد يفترسني بعينه !
(يسمع قرع على الباب الخارجي من ناحية اليمين) .
- عبد التواب : ترى من الذى يطرق الباب (يخرج) .
- آسية : (تنهض) هلمى يا صالحة .. لعل ضيفا جاء لسيدك .
- صالحة : (في ارتياح) إن كان شقيقك هو الطارق فحنانيك يا
سيدتي .. لا تخبريه بما قلت فيه !
- آسية : (تضحك) كلا يا صالحة .. سيدك عبد الجواد لا يجيء
من هذا الباب .. هلمى .. (يخرج ، وتخرج خلفها
صالحة) .
- (يدخل عبد التواب ومعه رجل كهل في هيئة حسنة) .
- عبد التواب : (عابسا كأنه يكره لقاءه) ما جاء بك اليوم ؟

الرجل : (يتسم في لطف) يا سيدى .. ألا تدعوني أولا إلى
الجلوس ؟

عبد التواب : اجلس إن شئت .

الرجل : شكرا (يجلس) .

عبد التواب : (يجلس بجانبه) ألم أنك عن المجيء ألبتة إلى ؟

الرجل : إنما جئت يا سيدى فى خدمتك .. (يخفض صوته) لقد
عثرت لك على بضاعة تهلك .. آية فى الجودة والرقّة !

عبد التواب : (مغضبا) ويلك ! ألم أقل لك إننى لم يعد لى فى بضاعتك
من أرب .

الرجل : فيم يا سيدى ؟ هذه بضاعة فاخرة ليس لها مثيل وإنى
لأنفسها على غيرك .

عبد التواب : اسمع يا هذا .. لئن جئتني بعد اليوم مرة أخرى لأرفعن
أمرك إلى شرطة الأمير .

الرجل : (يتصنع الابتسام) لعلك لا تعلم أن لى بين هؤلاء
أصدقاء !

عبد التواب : فلأرفعن أمرك إلى الأمير أحمد بن طولون نفسه ... والله
الذى لا إله إلا هو لأسوقنك إلى مجلسه !

الرجل : (يتغير وجهه) حنانيك يا سيدى لا تقطعن عيشى وعيش
أولادى !

عبد التواب : فابتعد إذن عنى ولا ترنى وجهك أبدا !

الرجل : ما أراك تزوجت بعد ؟ فليت شعرى ماذا غيرك على

صاحب ودك القديم ؟

عبد التواب : (بصوت خافض) أيها القواد الدنس .. لا تقربنى بعد اليوم ولا تطأ لى بساطا وإلا فلا تلومن إلا نفسك !

الرجل : هل أصبحت تعرف الدروب بدونى فاستغنيت يا سيدى عنى ؟ حنانيك يا سيدى هذه مهنتى لا مهنة لى سواها فلا تحرمنى مكسبى الوحيد .

عبد التواب : لعنة الله عليك وعلى مهنتك !

الرجل : إنى واثق أنك لو رأيت هذه البضاعة ..

عبد التواب : اسكت ويلك ! اخرج من هنا !

الرجل : لا تخف يا سيدى من وجودى عندك فإنى مستور الحال ، والناس لا يعرفون عنى إلا أنى تاجر الحرير .

عبد التواب : لكنى أعرفك ولا أريد بعد اليوم أن أراك .. اخرج من عندى وإلا ..

الرجل : (ينهض ليتصرف) لا رحم الله من كانت سبب حرمانى منك ! (يخرج) .

عبد التواب : (واقفا قد غلبه الأسى الشديد وهو يتمتم) سبحانك يا

ربى .. لقد استجيت دعوة هذا القواد من قبل أن ينطق بها

لسانه ! يا ويح غيداء ! ما ساقها إلى القبر غبرى ، أنا

قتلتها ! .. غفرانك يا رب غفرانك !

آسية : (صوتها) عبد التواب ! أقد خرج الضيف من عندك !

عبد التواب : (يمسح عينيه بطرف كفه) نعم يا آسية .. ادخلى يا

أختاه .

آسية : (تدخل) من هذا الذى كان عندك يا عبد التواب ؟

عبد التواب : أحد معارفى من التجار .

آسية : كأنى سمعتك تنهره وتطرده !

عبد التواب : (فى لهجة العاتب) هل استمعت إلى حديثنا يا آسية ؟

آسية : كلا يا أخى وإنما علا صوتك فوصل إلى سمعى قولك له :

اخرج من هنا !

عبد التواب : (يسرى عنه) هذا رجل ثقيل لا يطاق .. يريد دائماً أن

يرغمنى على شراء بضاعته الكاسدة ، وما اشتريت منه

بضاعة قط إلا غشنى فيها .. (يغير لهجته) خبرينى ما

رأيتك فى الجارية الجديدة يا آسية .. هل أعجبتك ؟

آسية : إنها جارية ظريفة .. بكم اشتريتها ؟

عبد التواب : بتسعين ديناراً .

آسية : فم تكلفت شراءها يا أخى ؟ كنت أستطيع بدونها أن

أخدمك .

عبد التواب : كلا يا آسية .. إنك بحاجة إلى جارية تخدمك وقد اشتريت

هذه مكان صهباء .

آسية : هلا كنت أبقى صهباء معنا فكفيت شراء جارية

جديدة ؟

عبد التواب : معاذ الله أن أزف حبيتى الرباب بغير جارية تخدمها وتأنس

بها وتعظم بها فى عيون أحمائها .

آسية : لكنك اليوم في ضيق ، فما ضر لو تبقى الرباب بدون
جارية ريثما يوسع الله عليك ؟

عبد التواب : كلا والله لا أقصر بالرباب عن أخواتها من قبل .

آسية : ملأ الله بالخير يديك وأبقاك لي ولهن وجعل يومنا قبل
يومك .

عبد التواب : ويحك يا آسية لا تدعى عليهن وذريهن يستمتعن بأيام
شبابهن .

آسية : والله ما دعوت إلا لهن . ماذا نصنع بالحياة بعدك يا عبد
التواب ؟ والله لو كان أبوهن حيا ما عطف عليهن عطفك
ولا لقين من بره ما لقين من برك .

عبد التواب : أنا أبوهن يا آسية وهى بناتي ! وما فتح الله على أبواب
الرزق إلا بريحهن وبركتهن .

آسية : إى والله لقد كنت لهن الأب البر الرحيم على حداثة سنك
وطراءة عودك ، فلا تبخل اليوم عليهن بتمام برك ..

عبد التواب : أى شيء ينقصهن يا آسية ؟

آسية : أن يفرحن بزواج خالهن ويرين له ذرية طيبة .

عبد التواب : سيكون ذلك يا أختي حين يجيء الأوان .

آسية : إنك اليوم في التاسعة والعشرين فمتى تتزوج يا أختي إن لم
تتزوج اليوم ؟ دعنى أفرح بأولادك يا عبد التواب وأريهم
عسى أن أرد بعض جميلك عندى . لقد عشت يا أختي
بفضلك حتى رأيت كل بناتي في بيوت أزواجهن ، فلم يبق

- لى أمنية فى الحياة سوى أن أراك سعيدا بنفسك وبذريتك .
عبد التواب : إنى اليوم بحمد الله لسعيد ولا ينقصنى شيء .
آسية : بل تكتم عنى همك ونصبك . لقد صرت كثير الأرق قليل
الطعام ولم تعد مرحا بشوشا كما كنت من قبل .
عبد التواب : إنما هى مشاغل التجارة وهمومها يا آسية .
آسية : لو تزوجت يا أخى لروجت عن نفسك كثيرا من هذه
الهموم .
عبد التواب : فانتظرى قليلا حتى يتعش حالى وتنفرج عنى هذه الأزمة .
آسية : خذ حلى فبعها فمالى بها من حاجة .
عبد التواب : كلا يا أختى .. هذا لن يكون .
آسية : ماذا أصنع بها الآن .. لم يعد لى فيها من أرب .
عبد التواب : بل دعها فقد تحتاجين إليها يوما .
آسية : لا كان ذلك اليوم الذى أحتاج إليها فيه ! يا ليتنا كنا أجلنا
زواج الرباب .
عبد التواب : ما زواج الرباب هو الذى رزأنى بل ديون قاسم المغربى .
آسية : ما كان أغناك عن قضاء ديونه وأنت فى هذه الحالة من
الإعسار .
عبد التواب : إنه صديق كريم وله على حقوقى .
آسية : أوقد أطلقوا سراحه ؟
عبد التواب : اليوم يوم خروجه من السجن .. يا ويحه .. سيخرج من
سجنه ليذرف الدمع السخين على قبر زوجته ! (يترقرق

الدمع في عينيه) وددت يا آسية لو أفلحت في إطلاق

سراحه قبل أن تموت زوجته حزنا عليه .

آسية : لا عليك يا أخى فقد بذلت كل وسعك من أجله .

عبد التواب : واحسرتاه .. ظلمت زمنا أساوم غرماءه حتى قضت

زوجته نجبا من كمد عليه .

آسية : هون عليك يا أخى فإن بعض الناس يقولون إنها حملت في

غيابه عنها وإن موتها كان من أثر الإجهاض .

عبد التواب : الله للناس .. لا يتركون أحدا في مصابه حتى يفروا أديمه

بالتقول والتخرص .

آسية : أجل .. ما إخال هذا إلا من كذب الناس ويبتائهم . يا ويح

أم مستور إن حزنها على ابنتها الشابة ليكاد يقضى عليها .

عبد التواب : هل رأيتها قريبا يا آسية ؟

آسية : لا .. لم أرها منذ يوم المأثم .

عبد التواب : هل لك يا أختى أن تزورها غدا وتحملى لها شيئا فهي في

حاجة إلى العون ؟

آسية : أبقاك الله يا أخى .. ما أشد عطفك على الناس !

عبد التواب : تعلمين يا أختى أنها استغاثت لى لإخراج زوج ابنتها من

سجنه ، فكان منى بعض التقصير حتى ماتت ابنتها ، فلا

أقل من أن نواسيها بشيء (ييكى) إلى أخشى يا آسية أن

يكون لى يد فيما حل بها من المصاب .

آسية : ما أرق قلبك ! ماذا فى وسعك أن تصنع أكثر مما صنعت ؟

والله لو عرفوا حالك اليوم لعذروك .

عبد التواب : كلا لا عذر لي يا آسية وإن عذروني .

آسية : أراك شديد الرثاء لها يا عبد التواب كأنما هي من بعض أهلك .

عبد التواب : ما يحزنني إلا أنها تموت في ريعان الشباب .

آسية : هذا قضاء الله يا أخي ولا راد لقضائه .

عبد التواب : صدقت يا آسية ولكني لا أستطيع أن أبرئ نفسي من التبعة .

آسية : أي تبعة يا أخي ؟ لقد صنعت لقاسم المغربي ما لم يصنعه

صديق لصديقه قط . قضيت ديونه من مالك وأنت في

حاجة إليه . والله لو فداك قاسم بروحه لقل ذلك لك .

عبد التواب : كلا يا آسية لو تشعرين ما أشعر لأدركت مبلغ خجلي من

هذا الصديق الذي فرطت في جنبه . والله لا أدرى بأى

وجه أقابله .

(يقرع الباب الخارجى)

عبد التواب : (يشرف من الشباك) هذا هو قد جاء يا آسية .

آسية : من ؟ قاسم المغربي ؟

عبد التواب : نعم (يخرج من اليمن) .

آسية : (تتهد) ما أغناك يا أخي عن تبعات الناس وأوزارهم

تحملها على ظهرك ! (تخرج من اليسار) .

عبد التواب : (يعود ومعه قاسم المغربي) مرحبا بك يا قاسم .. هلم

اجلس .

(يجلس قاسم وهو بالغ التأثر يرنو إلى عبد التواب دون
أن يقول شيئاً)

عبد التواب : (كمن ينجعل أن يملأ عينه من قاسم) اغفر لي يا قاسم !
قاسم : (متمتاً) أغفر لك !

عبد التواب : نعم وإن جل ذنبى .

قاسم : (ينطلق لسانه) أى ذنب يا عبد التواب ؟ أنا أسير
إحسانك الدهر يا عبد التواب ، والله لا أدرى كيف
أجزيك !

عبد التواب : (يسرى عنه فينظر إلى قاسم في حنان بالغ) إني ما
صنعت لك شيئاً يا قاسم .

قاسم : بل صنعت لي كل شيء . لقد نسيني جميع أصدقائي لما
حبست .. حتى أقاربي تخلوا عني ، وأنت وحدك الذى
اهتممت بأمرى وأبيت أن تنساني . دعنى أقبل رأسك يا
عبد التواب !

عبد التواب : (يتمنع) أستغفر الله يا قاسم .. أستغفر الله .

قاسم : (يقبل رأسه) قضيت ديونى وعنت بزواجى وأهلها فى
غياى (يبكى) .

عبد التواب : تجلد يا قاسم فهذا قضاء الله .

قاسم : أجل .. هذا قضاء الله ، ولكنى كنت أتمنى أن أراها ولو
نظرة واحدة قبل أن تموت ! (يتحجب) .

عبد التواب : (يدنو مواسيا ويربت على ظهره) ويحك يا قاسم .. إن

مصابك هو مصابي !

قاسم : (يرفع رأسه فجأة وقد تقلص دمه) لا حق لي أن

أحملك شجوني ، وما جئت يا عبد التواب إلا لأقوم

بشكرك ولأرى كيف يمكتنى أن أقضى الدين الذى فى

ذمتى لك .

عبد التواب : هون عليك يا قاسم فقد أسقطته عنك .

قاسم : كلا يا عبد التواب .. لابد من وفائه .. سأرحل إلى الشام

وأجتهد فى التجارة هناك لعل الله يفتح على فأرد دينك .

فهل لك يا صديقى أن تتم معروفك معى فتعطينى ولو

مائتى دينار أفتح بها تجارتي وتكون شريكى فيها إن

شئت ؟ .

عبد التواب : مائتا دينار لا تكفى يا قاسم . يا ليتنى اليوم فى سعة

فأعطيك ألفى دينار أو أكثر .

قاسم : إني أعرف عذرك يا عبد التواب وقد رزأتك الكثير ، فلا

بأس أن أكتفى اليوم بمائتى دينار لعل الله يضع فيها البركة

فيضاعفها لنا أضعافا مضاعفة .

عبد التواب : (يصمت هنيهة ثم ينهض) انتظرنى قليلا .. سأنظر ماذا

أستطيع أن أدبر لك (يخرج من اليسار) .

قاسم : (يتحدث نفسه) ويلي .. ما كفاي ما حملته من ديني حتى

أستغل كرمه وعطفه فأسأله مالا آخر لكن ما حيلتى ؟ لا

مطمع لى فى وفاء دينه إلا من هذا السبيل ! عجبنا لأمر هذا
الرجل الكريم .. أسأله الشىء أعلم ألا حق لى فى سؤاله منه
فإذا هو يشعرنى بأن ذلك من حقى عليه .

(يدخل عبد التواب ويده صندوق صغير) .

عبد التواب : قد يسر الله ما أبتغيته لك يا قاسم . (يقدم إليه
الصندوق) .

قاسم : ما هذا يا عبد التواب ؟

عبد التواب : خذ هذه الحللى فبعها فلن يقل ثمنها عن ألفى دينار .

قاسم : كلا يا عبد التواب لا أقبل أبدا أن تنزل لى عن حللى أهلك .

عبد التواب : إنها لأختى آسية قد نزلت لى عنها بطيب خاطر .

قاسم : لا والله لا ترزوها حللها من أجلى .

عبد التواب : إنها قد أسنت فما بقى لها فى الحللى من حاجة اقبل هذه الحللى

من أجلى واجعلنى شريكا فى تجارتك لعل الخير يأتينى من

قبلك ! لطالما تمنيت أن يكون لى تجارة فى الشام ، وها قد

حقق الله أمنيته على يدك .

قاسم : (يأخذ الصندوق منه) ما أكرمك يا عبد التواب .. والله

لولا حرصى على وفاء دينك كله ما قبلت كل هذا منك .

عبد التواب : شكرا لك يا قاسم لقد فرجت شيئا من كرى ونخفت

عنى بعض ما أجد .

قاسم : أوتشكرنى يا عبد التواب على أن قبلت برك وكرمك ؟

سبحان الله الذى خلقك ! ما أنت يا صاحبى بشرا .. إن

أنت إلا ملك كريم .

(ستار)

(السلسلة والغفران)

المشهد الثاني

(فى منزل إسماعيل المرزوق — حجرة متوسطة ذات أثاث حسن إلا أنه قديم . وقد علقت على جدرانها ضروب مختلفة من الأسلحة على سبيل الزينة .. للحجرة بابان من يمين وشمال .)

(يرى إسماعيل واقفا أمام مرآة من الفضة يصلح هندامه بعناية بالغة كأنه متأهب للخروج من داره وقد ارتدى ثيابا كثياب الجند بادية القدم بيد أن على رأسه عمامة كعمائم العامة .)

إسماعيل : (ينادى) كوثر ! يا كوثر !

كوثر : (صوتها) ليك يا أبى ! (تدخل منطلقة فى خفة ورشاقة كأنها ترقص) أخرج أنت يا أبى الساعة ؟

إسماعيل : (ينظر إليها بحنان وتدليل) نعم يا حبيبتي .. كيف تريبنى ؟

كوثر : (تنظر إليه من أمام ومن خلف) كامل الهيئة يا

أنى .. جندى بهى الطلعة !

إسماعيل : (كمن لم يرضه ما قالت) بهى الطلعة ؟
كوثر : (مبتسمة) نعم .. ولكن مهيب الجانب مرهوب اللقاء !

إسماعيل : (يضحك راضيا) بارك الله فيك يا كوثر .. (يفتل شاريه مزهوا) آه يا بنتى لو رأيتنى فى حومة القتال ..

كوثر : (تقول معه فى وقت واحد) وأنا أشد على الأبطال فيفرون من وجهى كالنعام فمنهم من ينجو ومنهم من يقع ..

إسماعيل : (بين التعجب والامتعاض) ما هذا يا كوثر ؟ ممن سمعت هذا ؟

كوثر : (تضحك) منك يا أنى ! (تحاول إرضاءه) إنى أحفظ كل كلمة تقولها .

إسماعيل : (تشرق أساريره) معجبة والله بأبيها الجندى الشجاع ! بارك الله فيك يا كوثر !

(يتلفت يمنة ويسرة ثم يقول بصوت خافت) إياك يا بنتى أن تسمعى لكلام أمك . إنها تريد أن تزوجك تاجر غلال لا يقدر فى حياته على قتل طفل أو امرأة ! كلا لست من ذاك . هى ابنة زيات حقير .

كوثر : وأنا ابنة جندى خطير !

إسماعيل : (معجبا) بارك الله فيك ! أحضرى لى الآن عصاى يا كوثر .

- كوثر : سمعا يا أبى (تخرج منطلقا) .
(تدخل ميمونة)
ميمونة : ماذا كنت تقول لكوثر ؟
إسماعيل : (يرتعد خوفا) ما قلت لها شيئا يا ميمونة .
ميمونة : بل أردت أن تثبطها عن قبول عبد التواب المقدادى .. إني أعرفك !
إسماعيل : أجل .. إنه لا يصلح لها فهى ترغب أن يتزوجها جندى شجاع مثل أبيها .
ميمونة : كلا لا أدع ابنتى تنكب مثلى بمثلك ! حسبى ما لقيته منك .
إسماعيل : ماذا لقيت منى يا امرأة ؟
ميمونة : النوى والطوى !
إسماعيل : أما النوى فذلك شأن الجنود لا حيلة لهم فيه ، وأما شكواك من الطوى فما أعظم بهتانك . ألا تحمدى الله يا هذه على ما تتقلبى فيه من النعمة والخير ؟
ميمونة : (فى سخرية) بلى .. إني لأحمده إذ لا يحمد على البلوى سواه .
إسماعيل : (يكظم غيظه) الأمر يا هذه لكوثر لى ولا لك .
ميمونة : بلى لى أنا الأمر كله .. أنا أعرف بمصلحتها منها ومنك .
إسماعيل : والله لا أزوجهما أحدا إلا برضاها . (يهم بالخروج) .
ميمونة : (تستوقفه) على رسلك ! اليوم موعد آسية أخت عبد

التواب المقدادى لتسمع جوانبا بالقبول أو الرفض . فاعلم
أنى سأنتهى إليها أننا قد قبلنا خطبة عبد التواب .

إسماعيل : على شرط أن ترضى كوثر .

ميمونة : كلا .. بل على رغم أنفها وأنفك ! .

(تدخل كوثر) .

كوثر : (غابسة) أما تكفان عن النزاع فى شأنى ؟ هل ضجرتما

من بقاءى عندكما ؟ إنى لا أريد الزواج بعد .. لا أريد عبد
التواب ولا غيره !

ميمونة : لابد أن تتزوجى عبد التواب . أين تجددين مثله يا قليلة
العقل ؟

كوثر : هذه عصاك يا أبنى فإن كنت تنوى الخروج فاخرج فقد
جاءت أم مستور تزورنا . (تناوله العصا) .

ميمونة : أم مستور ؟

كوثر : نعم . أين أجلسها ؟

ميمونة : هل عندنا إلا هذه الحجرة ؟ أدخلها هنا . (تخرج كوثر)

اخرج أنت يا رجل ماذا تنتظر بعد ؟

إسماعيل : سبحان الله .. أنت استوقفتنى وقد كنت خارجا قبل

الساعة . (يتوجه نحو اليمين ليخرج) .

ميمونة : سأقول لأخت عبد التواب أننا قبلنا خطبته .. أسمع ؟

إسماعيل : زوجيه لابتك أو تزوجيه أنت .. لا شأن لى بما تفعلين !

(يخرج) .

ميمونة : يا شيخ السوء ! لو أنى تزوجت تاجرا غنيا مثله ما كنت فى هذه الحال !

(تدخل كوثر ومعها أم مستور)

ميمونة : (تقبل على أم مستور) مرحبا بك يا أم مستور .
(تصافحها) هلمى اجلسى .

أم مستور : لعلى جئت فى وقت غير ملائم . (تجلس) .

ميمونة : كلا يا أختى بل جئت على الرحب والسعة (تجلس وتجلس كوثر بجانبها وفى وجهها عبوس) .

أم مستور : شكرا يا ميمونة .. شعرت بالضيق من جلوسى وحدى فى البيت فقلت أزرر كم لعلى أتسلى بالحديث معكم .

ميمونة : أهلا بك يا أم مستور .. إنك لتؤنسينا بزيارتك .. كيف أنت اليوم ؟ لعلك تعزيت قليلا وخف عنك بعض حزنك !

أم مستور : هيات العزاء يا ميمونة .. كل شىء فى البيت يذكرنى بغيداء (تغرورق عيناها بالدموع) يخيل إلى أحيانا أننى أسمع صوتها تنادىنى من الحجرة الأخرى

ميمونة : (متأثرة) تجلدى يا أم مستور فهذه سنة الحياة ..

أم مستور : كيف السبيل إلى العزاء وخيالها يلازمنى إذ هى فى فراشها تصارع المرض ويصارعها التزيف لا ينقطع عنها وهى تدبل كل يوم حتى فاضت روحها بين يدى فإذا هى جثة هامدة ، أحركها فلا تحس وأدعوها فلا تجيب !

(تتهجب) .

ميمونة : يا ويحها .. ألم تجدوا علاجاً لذلك النزيف ؟
أم مستور : لقد جربنا كل علاج فما أجدى شيئاً ، وأى علاج يمكن أن
ينفع وقلبها يضطرم بالحسرة لحبس زوجها ويتقطع حزناً
عليه ؟

ميمونة : مسكينة !

أم مستور : (تمسح دمعها) جنبك الله السوء يا أختي ومتعك بشباب
ابتتك ! (تنظر إلى كوثر) ما شاء الله .. لقد كبرت
كوثر وأضحت عروسا .

ميمونة : نعم .. كلما كبرت كبر عييبها معها .

أم مستور : كنت أقول مثل ذلك عن غيداء ، ما عرفت قيمتها حتى
ذهبت عني فذهب معها كل جميل في الحياة .. (تلتفت
إلى كوثر) إياك يا بنتي أن تصدق هذا الكلام من أمك .

كوثر : ماذا أصنع لها يا خالتي ؟ لا يرضيها مني شيء .

أم مستور : علام يا ميمونة ؟ ما أرى كوثر إلا فتاة طيبة .

ميمونة : علتها من أبيها يا أم مستور . أنا أحاول إصلاحها وهو
يفسدها بفرط تدليله .

أم مستور : دعيها تنعم بتدليل أبيها قبل أن تفارق العش الذي درجت
فيه إلى عش آخر . ألم يجيء لها خاطب ترضونه بعد ؟

ميمونة : إنك غير غريبة عنا يا أم مستور . قد جاءها خاطب من
أفضل الرجال ، ولكن الشقية تتجنى عليه ..

- أم مستور : فيم يا بنيتي ؟ إن أملك أعرف منك بمن يصلح لك .
- ميمونة : ووالدها يتجننى أيضا عليه ! قال إنه يريد لابنته جنديا مثله . ألا تعجبين من هذا الشيخ الهرم .. يؤثر جنديا فقيرا لا يؤمن جانبه ، ولا استقرار له ، على تاجر كبير ملء السمع والبصر ؟
- أم مستور : إن شئت الحق يا أختي فالأرزاق بيد الله سبحانه ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، فإن التاجر الكبير قد يقلس ، وقد يغتنى الرجل الفقير .
- ميمونة : هذا حق يا أم مستور ، ولكن على المرء أن يحتاط لنفسه ثم يفوض الأمر بعد ذلك لله .
- كوثر : علام تتعجلان تزويجي ؟ إننى لا أريد الزواج بعد .
- ميمونة : إتنا لا نتعجل يا بنتى ، ولكن الخاطب الكريم قد جاء يقرع بابك . فوالله لئن رددناه لا يجيئنا مثله أبدا .
- أم مستور : ليت شعرى من يكون هذا الخاطب الكريم ؟
- ميمونة : عبد التواب بن صالح المقدادى .
- أم مستور : (فاغرة فاها من الدهش) عبد التواب !
- ميمونة : نعم .. إنك تعرفينه يا أم مستور .. هو صديق قاسم المغربى زوج غيداء ابنتك .
- أم مستور : (تحاول إخفاء اضطرابها) أجل أعرفه .. هذا رجل لا يؤمن على الأعراض ..
- ميمونة : (مقاطعة في دهش) ماذا تقولين يا أم مستور ؟ كيف

تطعنين في هذا الرجل المستقيم الطيب ، ماذا علمت عليه
من سوء ؟

أم مستور : (تبلع ريقها محاولة إصلاح مازل به لسانها) لا أعلم على
عبد التواب إلا كل خير .

ميمونة : فكيف قلت فيه ما قلت ؟

أم مستور : (تتجاهل) ويلي .. ماذا قلت فيه ؟

ميمونة : إنه رجل لا يؤمن على الأعراض !

أم مستور : أستغفر الله .. ما إلى هذا قصدت ، ولكنك اعترضت

حديثي قبل أن أتمه . لقد أردت أن أقول إنه رجل لا يؤمن

على الأعراض فحسب بل يصونها ! .

ميمونة : (تنفس الصعداء) الحمد لله .. حسبتك تعرفين له

مغمزا لا نعرفه .

أم مستور : معاذ الله أن أغمز رجلا كريما أنقذ زوج غيداء ابتى من
سجنه !

ميمونة : لكنني آنست تغيرا في وجهك حينما ذكرت اسمه لك !

أم مستور : أجل .. إن اسمه يذكرني بغيداء رحمها الله — فيخطر

بذهني أنه لو خلص زوجها قبل ذلك لربما أنقذ حياتها

أيضا ! لكنه — وأأسفاه — ما خلصه إلا بعد فوات

الأوان .

ميمونة : لعله لم يستطع إرضاء دائتيه قبل ذلك .

أم مستور : نعم .. أنا لا أنكر فضله ومعروفه على كل حال ، فقد كان

يتعهدنا في محتتنا ويساعدنا وفاء لصديقه قاسم ولا سيما في
غياب ابنتنا مستور .

ميمونة : وأين كان ابنك مستور ؟

أم مستور : كان يتدرب في الجيش ولا يجيء إلينا إلا لماما .

ميمونة : أباق هو في الجيش حتى اليوم ؟

أم مستور : نعم .

ميمونة : لم لا يترك الجيش ليقى عندك فيؤنس وحدثك ؟

أم مستور : لا سبيل إلى ذلك يا أم كوثر . إن الذي يدخل في الجيش لا

يخرج منه إلا بإذن الأمير ابن طولون ومن لنا بهذا الإذن ؟

ميمونة : لو ترفعين التماسك إلى ابن طولون لرجوت أن يقبل .

أم مستور : لكن ماذا يصنع ابني إن ترك الجيش ؟ ما إخاله يصلح

لشيء آخر . وقد قيل إنه سيكون جنديا ممتازا وسيبلغ أرقى

المراتب في جيش الأمير . فعسى أن ينفعني في مستقبل

أيامه .

ميمونة : لا خيب الله رجاءك فيه ..

أم مستور : (تلتفت إلى كوثر مداعبة) لو كنت أعلم يا كوثر أنك

ترغبين في الزواج من جندي مثل أهلك لخطبتك لمستور ،

ولكننا فقراء وعبد التواب خير لك منه ألف مرة !

كوثر : إني يا خالتي لا رغبة لي بعد في الزواج .

ميمونة : (مجاملة) لو تقدم إليها ابنك قبل أن يخطبها عبد التواب ما

ترددنا في قبوله من أجلك يا أم مستور .

أم مستور : إنما قلت هذا مازحة ، فمستور أيضا قد خطب أخت قاسم ، فلا يليق بنا أن نفسخ الخطبة وإلا ظن قاسم أننا إنما فعلنا ذلك بعد إفلاسه وحبسه . وعسى أن يبارك الله له في تجارتها الجديدة بالشام فيعود صالح الحال كما كان .

ميمونة : إن الزواج — كما قالوا — قسم وحفظ .
أم ميسور : هذا حق . لقد كنا نوشك أن نزوج غيداء لأحد تجار اللؤلؤ من عُمان وقد تم بيننا كل شيء ، ولكنه رجع إلى بلاده فاختفى عنا في آخر لحظة لأنها ليست مقسومة له بل لقاسم .

ميمونة : الخير فيما اختاره الله .
أم ميسور : إى والله إن قاسما لن خيرة الأزواج . كان شديد الحب لغيداء لا يكاد يعلم أنها تشتهى شيئا إلا أتاها به لساعته .

ميمونة : ما أقسى تصارييف الأيام إذ تفرق بين مثلها ومثله !
أم ميسور : (تبكى) آه لو شهدت لما جاءنى غداة خروجه من مسجته كيف بكى غيداء وكيف أكب على سريرها يلثم كل بقعة فيه وكيف قام إلى ثيابها وطفق ينشرها ويللها بدموعه !
ميمونة : مسكين !

(يسمع قرع على الباب من جهة اليسار)
ميمونة : قومى انظرى يا كوثر .. لعلها آسية أخت عبد التواب !
(تنهض كوثر متاثلة فتخرج) .

أم مستور : لا سامح الله من كان السبب في موت ابنتى على تلك الحال

الأليمة .

ميمونة : من هو ؟

أم مستور : هل حسبتني أعني عبد التواب إذ لم يسارع بافتداء قاسم
من سجنه حتى ماتت غداء ؟ كلا يا أختي إنما أعني أولئك
الدائنين الذين لا يعرفون الرحمة والشفقة !

(تدخل آسية وخلقها كوثر)

ميمونة : (تنهض لها إلى الباب مرحبة) أهلا بك يا آسية .. يا ألف
مرحب (تصافحها) .

آسية : شكرا يا ميمونة (يمتقع وجهها لرؤية أم مستور ولكنها
سرعان ما أخفت شعورها) أم مستور هنا .. مرحبا بك
يا أم مستور (تصافحها) كيف حالك ؟

أم مستور : (في شيء من الاضطراب) الحمد لله يا آسية
(يجلسن) .

آسية : كيف أنت يا أم كوثر وكيف عمى إسماعيل ؟

ميمونة : الحمد لله وكيف ابننا عبد التواب ؟

آسية : (مبتسمة) بخير .. يهديكم تحياته ..

(توميء ميمونة لكوثر فتنهض كوثر)

آسية : دعها معنا يا ميمونة .

ميمونة : إنها ستعود يا آسية (تخرج كوثر) .

أم مستور : هل تأذنين لي يا ميمونة فأصرف ؟

ميمونة : بل ابقى قليلا يا أم مستور .. ماذا تصنعين وحدك في

بيتك ؟ (لآسية) إن أم مستور ليست غريبة عنا يا آسية
وقد أعلمناها بكل شيء .

آسية : خيرا إن شاء الله .. هل أستطيع أن أزف إلى أخي بشرى
القبول ؟

ميمونة : نعم يا آسية وكرامة عين !

آسية : أو قد رضى أبوها ؟

ميمونة : لا شأن لأبيها ، أنا أعرف بمصلحتها منه . هذا رجل قد كبر
فأوشك عقله أن يختلط .

آسية : وكوثر ؟

ميمونة : كوثر حديثة السن لا تعرف ما يصلح لها وما لا يصلح ،
ولن نجد لها خيرا من أخيك .

أم مستور : أجل إن عبد التواب لرجل ينذر مثله في الرجال .. وله
عندى يد لا أنساها له ما حييت .

آسية : إن أخي حفظه الله لمفطور على حب الخير للناس وسيكون
إن شاء الله نعم الزوج لكوثر .

أم مستور : (لآسية) مبارك له فيها يا آسية .

آسية : بارك الله فيك .

أم مستور : (لميمونة) مبارك لها فيه يا ميمونة .

ميمونة : يسمع الله منك يا أم مستور .. قريبا إن شاء الله نهتلك
بزواج مستور !

أم مستور : شكرا يا ميمونة هذا سابق لأوانه بعد .. حتى تندمل

جراحنا من غيداء إن كانت جراحنا تندمل أبدا !
آسية : هوني عليك يا أم مستور فكل جرح لا بد يوما أن يندمل .
أم مستور : (بين الحزن والغضب) إلا جرحي ! لا سييل إلى
اندماله . لا سامح الله من كان السبب ! لعنة المنتقم الجبار
على من كان السبب !

آسية : (مستغربة) .. ؟
ميمونة : إنها تدعو على الدائنين الذي حبسوا زوج ابنتها حتى ماتت
ابنتها حزنا عليه .

أم مستور : نعم .. لعنة الله على دائنيه جميعا .. من سبق منهم ومن
لحق .. (ترفع يديها إلى السماء) اللهم يا شديد الانتقام
انتقم لي منهم فردا فردا . اللهم لا تمت أحدهم حتى تنكبه في
زوجته بمثل ما نكب ابنتي غيداء !
(تظهر كوثر على الباب داخلة تحمل أطباق الحلوى
والفطائر)
(تنظر النسوة الثلاث إليها واجبات)

(ستار)

المشهد الثالث

(فى دار عبد التواب — حجرة فى جناح الحريم تشبه فى هيئتها وأثاثها الحجرة السابقة فى المشهد الأول إلا أن هذه أبسط من تلك وأقل منها زينة . على اليمين باب يؤدى إلى مخدع كوثر وعلى اليسار باب يؤدى إلى سائر الجناح (الوقت أول الضحى) .

(تظهر آسية جالسة على الأريكة وبين يديها بعض الوسائد تصلحها وترتق فتوقها) .

آسية : (تحدث نفسها) هذا الضحى قد متع وهى نائمة بعد . يا ويح عبد التواب يخرج كل صباح من داره دون أن يرى وجه زوجته (تدخل صالحة) هل سخنت الماء لسيدتك كوثر ؟

صالحة : نعم يا سيدتى .. قد صار يغلى . ألم تستيقظ بعد ؟
آسية : لا يا صالحة .. ما زالت نائمة .
صالحة : سيرد الماء ككرة أخرى وسيحتاج إلى تسخين جديد .
آسية : (تنهد) آه .. غطى القدر جيدا حتى لا يبرد .

- صالحه : (تنظر عابسة إلى جهة مخدع كوثر) سمعا يا مولاتي
(تخرج)
- آسية : الله يرزقنا الصبر ! آه .. في سبيلك يا عبد التواب كل
مشقة تهون ! (تسمع حركة من اليمين) الحمد لله .. قد
تعبت من طول النوم !
(تدخل كوثر من الباب الأيمن وهي في ثياب النوم)
- آسية : صباح الخير يا كوثر .
كوثر : صباح الخير .
آسية : لعلك نمت البارحة نومة طيبة .
كوثر : كما ينام سائر الناس . لولا أن البرغوث يضايقني في هذا
البيت ويوقظني من نومي مرة بعد مرة .
- آسية : هذا موسم البرغوث يا كوثر وسينقضي وشيكاً فلا يبقى
له أثر .
- كوثر : لا يكثر البرغوث إلا في حيكم هذا . أما حي والدي فلا أثر
للبرغوث فيه .
- آسية : بل هو موجود في كل مكان ولا يخلو منه بيت مهما
نظف !
- كوثر : أين صالحه ؟ هل أعدت الماء الساخن ؟
آسية : نعم قد سخنت لك الماء مرتين .
(تخرج كوثر من الباب الأيسر)
- آسية : تشكو من البراغيث .. لا يعجبها شيء في هذا المنزل !

(تدخل صالحة ويدها المكنسة) .

- صالحة : أين أكنس يا سيدتى ؟
آسية : هل كنست المطبخ ؟
صالحة : نعم يا سيدتى قد كنسته .
آسية : فأكنسى مخدع سيدتك كوثر .. إنها تشكو من البراغيث فأحسنى كنسه .
صالحة : البراغيث ! إني أكنسه كل يوم والبراغيث يا سيدتى فى كل مكان . هذا موسمها .

(تدخل إلى المخدع)

- آسية : مسكين عبد التواب . لقد جنينا عليه !
صالحة : (تظهر من باب المخدع) معذرة يا مولاتى ..
آسية : ما خطبك ؟
صالحة : (تدنو منها) لماذا لا ينام مولاي عبد التواب فى هذا المخدع مع سيدتى كوثر !
آسية : (تبسم فى أسى) لأنها صغيرة بعد يا صالحة .
صالحة : صغيرة ! هذه كبيرة تعرف كل شئ !
آسية : ويلك يا صالحة .. دعى عنك هذا واهتمى بعملك .
صالحة : إن كانت صغيرة بعد كما تقولين فلماذا زوجها أهلها له ؟ يا ويح مولاي ! ليس له من الزواج إلا الاسم . قد مضى على زواجهما شهران وهى تتأنى عليه . قولى له يضربها حتى تعود إلى صوابها !

- آسية : (تضحك ثم تكف عن الضحك فجأة) هيا يا صالحة
عودى إلى عملك .
- صالحة : سمعا يا سيدتى (تعود إلى الخدع) .
- آسية : والله إن ما تقوله الجارية لحق .. يا ويح عبد التواب !
- صالحة : (تعود للظهور) إذا كان سيدى لا ينام معها فلماذا
تستحم كل يوم فى الصباح ؟
- آسية : (تضحك) يا هذه عودى إلى عملك !
- صالحة : سمعا يا مولاتى .. (تهم بدخول الخدع ولكنها تعود
ثانية) هل مولاي عبد التواب راض بهذا كله ؟ حقا إنها
لجميلة ولكن ما خير جمالها له ؟
- آسية : يا هذه ..
- صالحة : ألم يشك إليك أمرها قط ؟
- آسية : لا يا صالحة .
- صالحة : ولا إلى . آه يا سيدتى لو فعل لأشرت عليه بالطريقة المثلث ؟
- آسية : (متضاحكة) بم كنت تشيرين عليه ؟
- صالحة : بأن يقيدها ليلة واحدة ثم يرسلها فلن ترضى أن تنام وحدها
بعد ذلك أبدا .
- آسية : (تضحك) ويلك يا صالحة يا قليلة الحياء !
- صالحة : إن الله لا يستحي من الحق .. قولى له يجرب هذه الطريقة
يا سيدتى فسيجدها إن شاء الله ناجعة .
- آسية : كلا يا صالحة لا أستطيع .

صالحه : في وسعى أن أقولها له ولكنى أخشى أن يغضب منى ..
أنت يا سيدتى أخته لا يغضب منك :

آسية : يا ثرثارة .. ادخلي فاكسى المخدع قبل أن تخرج من حمامها
سيدتك !

صالحه : إى والله لتوسعتنى شتاً إن خرجت قبل أن أفرغ من
كنسه . (تدخل مسرعة إلى المخدع ولكنها لا تلبث أن
تعود) بقيت لى كلمة واحدة يا سيدتى ثم أتم كنس المخدع
فما بقى منه إلا قليل .

آسية : قولها وأسرعى .

صالحه : (تنهد) آه يا مولاتى لو كنت شابة !

آسية : ويلك ما تقولين يا صالحه ؟

صالحه : لو كنت شابة لعرفت كيف أجعلها تغار عليه منى فلا
تتركه يخرج من مخدعها بالليل ! لكن وأأسفاه .. ما
اشترانى مولاي إلا وأنا عجوز ! (تدخل المخدع) .

آسية : (تغالب ضحكها) ما أظرفها من جارية ! والله لا أدرى
كيف أطيق البقاء على هذه الحال لولا وجود هذه الجارية
معنا فى المنزل ؟ يا ويح عبد التواب أنا كنت السبب فى
شقائه .. أنا اخترت له هذه التى أفسدها تدليل أبيها فلا
تعرف حق الزوج ولا تبالى به ! (تظهر صالحه) أأتممت
كنس المخدع ؟

صالحه : نعم .

- آسية : فاكتنسى هذه الحجرة . (تنهض من مقعدها) .
صالحة : سمعا يا مولاتى (تأخذ فى كنس الحجرة) .
آسية : أسرعى قبل أن يجيئنا ضيف . (تخرج) .
صالحة : ما أطيب مولاتى آسية .. حقا والله إنها لسكرة !
(تدخل كوثر وعليها آثار الاستحمام) .
كوثر : ما تصنعين يا صالحة ؟
صالحة : أكنس الحجرة يا مولاتى كما تربتنى .
كوثر : هل كنت مخدعى ؟
صالحة : نعم يا مولاتى قد كنسته .
كوثر : دعى هذا أولا وهلمى ساعدينى على اللبس فإنى تأخرت
عن زيارة والدى . وأخشى أن يخرج من البيت قبل
مجيئ .
صالحة : لماذا يا مولاتى لا يجيئ والدك هنا كل يوم خيرا من ذهابك
إليه ؟
كوثر : كفى عن أسئلتك السخيفة .. هلمى ساعدينى .
صالحة : إن مولاتى قد أمرتنى بكنس هذه الحجرة لعل أحد
الضيوف يجيئ .
كوثر : أنت جاريتى ، وأنا سيدتك .. أفهمت ؟
صالحة : أنت سيدتى وهى سيدتى أيضاً ؟
كوثر : كلا لا سيدة لك غيرى .. ألقى المكنسة من يدك !
صالحة : (تظهر آسية على الباب الأيسرى من حيث لا تراها كوثر)

- (فتشير لصاحبة أن تطيع)
صاحبة : أمرك يا سيدتى (تلقى المكنسة وتدخل الخدع وراء
كوثر)
(تتقدم آسية فتلتقط المكنسة وتأخذ فى كنس الحجيرة)
(يسمع قرع الباب الخارجى من اليسار)
آسية : (تلقى المكنسة من يدها) هذه قرعة الرباب !
(تهول مستبشرة وتخرج ثم تعود وخلفها الرباب عليها
البرقع وقميص الخروج) .
آسية : مرحبا يا بنتى .. إنى لفى شوق إليك !
(تلتقط المكنسة لتستأنف الكنس)
الرباب : أنت تكنسين يا أماه ! أين صاحبة ؟
آسية : إنها مشغولة يا بنتى .
الرباب : مشغولة ؟ ماذا يشغلها ؟
آسية : عند كوثر تلبسها وتمشطها .
الرباب : يا للأميرة المدللة ! (تخلع عنها البرقع والقميص) هاتى
المكنسة يا أماه .
آسية : لا عليك يا بنتى .. سأتمه أنا .
الرباب : كلا يا أماه .. لا أدعك تكنسين وأنا واقفة !
(تجذب المكنسة من يد آسية وتأخذ فى الكنس) كيف
نحالى يا أماه ؟
آسية : (تم عملها فى الوسائد التى على الأريكة) بخير يا بنتى ...

- دائما يسأل عنك . ابقى اليوم عندنا حتى يعود .
- الرباب : سأبقى يا أماء .. إني في شوق أن أراه .
- آسية : هل استأذنت زوجك ؟
- الرباب : نعم وأذن لي وقد تركت صهباء لتعد له غداءه .
- آسية : بارك الله فيك يا بنتي وأسعدك !
- (تدخل كوثر في زيتها وعليها البرقع وقميص الخروج وخلفها صالحة) .
- كوثر : أهلا بالرباب .. متى جئت ؟
- الرباب : الساعة .
- كوثر : خذى المكنسة من يدها يا صالحة ! ويلك كيف تبقين واقفة هكذا كالحائط وأنت ترينها تكنس ؟
- صالحة : إنما كنت أنتظر الأوامر يا مولاتي .
- كوثر : ماذا تنتظرين يا قليلة الذوق ؟ تدعين سيدتك تكنس مكانك !
- صالحة : لقد كانت سيدتي آسية تكنس مكاني من قبلها وأنا واقفة أمشط شعرك !
- كوثر : أنت الآن لا تمسطين شعري فما وقوفك هكذا كأنك ضيفة قادمة ؟
- الرباب : دعيتها يا كوثر .. سأتم أنا العمل الذي بدأته أمي !
- كوثر : (تنهر صالحة) خذى المكنسة من يدها يا بومة الليل !
- صالحة : هاتيها يا سيدتي الرباب (تجذب المكنسة من يدها)

- الرياب (.
- كوثر : (للرياب) أما تزورينا يا أختي إلا وأنا بخارجة ؟
- الرياب : ما حيلتى فيك وأنت كل يوم تخرجين لزيارة أهلك ؟
- كوثر : لولا خشيتي أن يخرج والدى من الدار قبل أن أراه للبثت قليلا معك .
- الرياب : (مداعبة) عجباً لخالى عبد التواب كيف يأذن لك كل يوم بالخروج . سأقول له اليوم لينعك .
- كوثر : لا يقدر أحد أن يمنعنى من زيارة أهلى .
- الرياب : أنا اليوم ضيفتك فكيف تتركينى ؟
- كوثر : عندك والدتك وعندك صالحة ! (تمشى نحو الباب لتخرج) .
- آسية : ألا تفطرين أولاً يا كوثر فإنك ما أفطرت بعد .
- كوثر : لا وقت عندى .. سأفطر هناك عند أهلى . (تخرج) .
- صالحة : تدعى أن البيت بيتها وهى لا تحب البقاء فيه !
- الرياب : هذا أمر لا يطاق يا أماء .. كيف تصبرين على كل هذا ؟
- آسية : لا بأس أن نحملها من أجل خالك يا رياب .
- الرياب : ذاك لو كانت تعز خالى ، ولكنها لا تأبه له ولا تحرص على رضاه .
- صالحة : تنام فى حجرة وينام فى حجرة أخرى .. فى أى شرع يجوز هذا ؟
- آسية : (لصالحة التى فرغت من كنس الحجرة) اذهبنى

- فأطعمى الدواجن يا صالحة .
- صالحة : سمعا يا مولاتي (تخرج) .
- آسية : إنها صبية مدللة يا رباب ، وستعقل غدا إن شاء الله فتعرف
لزوجها حقه .
- الرباب : كان على أهلها أن يربوها ويؤدبوها قبل أن يزفوها إلى بيت
الزوج .
- آسية : أشهد أن والدتها لم تقصر في تأديبها ، ولكن والدها هو
الذى أفسدها بفرط تدليله .
- الرباب : أو ترضين لخالى أن يتحمل سوء أدبها ؟ ما ذنبه في ذلك ؟
ألا ترينه في غم وكآبة ؟
- آسية : هذه الكآبة قد كانت فيه من قبل أن يتزوجها . والله لا
أدرى ماذا يخالك يا رباب ، فقد كان بشوشا ممراحا حتى
جاءت أم مستور تستنجد به لما دخل زوج ابنتها السجن ،
فما لبث أن تغير طبعه فغلبت عليه الكآبة من يومئذ .
- الرباب : أما أنا فما أنكرت طبعه إلا بعد ما تزوج من هذه الطائشة ؟
- آسية : بل كان يكمهم همه عنا من قبل يا رباب ويظهر لنا المرح
والبشر لكلا نأسي لحاله . وقد كان يرينى أنه لا يرى أم
مستور أو يذكر اسمها عنده إلا ثارت شجونه فظهرت
عليه .
- الرباب : لعل ذلك من رثائه لمصائبها يا أماء فإن خالى لرحيم القلب .
- آسية : لا أدرى يا رباب . أستغفر الله .. لقد بدأت أكره هذه

- المرأة وأستقل زيارتها لنا .
(تدخل صالحة مسرعة) .
صالحة : هذا مولاي يا سيدتى قد جاء .
آسية : عجباً عاد اليوم قبل ميعاده .. ترى ما خطبه ؟
الرباب : (تنهض فرحة) لا بد أنه علم بمجيئى فبكر بالعودة !
(تخرج منطلقة) .
آسية : ماذا نقول له الساعة إن سأل عن كوثر ؟ سيزداد أساه إذا علم أنها خرجت .
(يدخل عبد التواب ويده فى يد الرباب) .
عبد التواب : لقد أحسنت بزيارتنا اليوم يا رباب فقد يطول غيابى عنك .
آسية : ماذا أعجلتك اليوم يا عبد التواب ؟ خيراً إن شاء الله .
عبد التواب : تلقيت كتاباً من قاسم المغربى شريكى بالشام يقول لى إن تجارته قد اتسعت هناك فهو يناشدنى أن ألحق به لأساعده فى تدبيرها وتوسيع نطاقها .
الرباب : يريدك يا خالى أن ترحل إلى الشام ؟
عبد التواب : نعم .
الرباب : كلا يا خالى .. كيف ترحل عنا وتتركنا ؟
عبد التواب : سأعود إليكم قريباً إن شاء الله .
آسية : ودكانك هنا ماذا تصنع به ؟
عبد التواب : سأقفله حتى أعود . إن التجارة هنا كاسدة فى هذه الأيام ،

وقد أكد لي قاسم أنى إن لحقت به فسنؤثّل ثروة كبيرة في عام أو عامين .

آسية : وكوثر زوجتك .. كيف تركها ولما يمض على زواجكما غير شهرين ؟

عبد التواب : (يظهر في وجهه الأسى) أين هي يا آسية ؟

آسية : (في ارتباك) خرجت اليوم تزور أهلها ..

عبد التواب : اليوم فقط ؟ (تصمت آسية) .

الرباب : لا يا خالى بل كل يوم . لماذا يا أمى لا تخبرينه بالحقيقة ؟

آسية : لا بأس يا عبد التواب فإنها لصغر سنها ما تزال شديدة التعلق بأهلها .

عبد التواب : إذن فلا بأس يا أختى من يعادى عنها . بل من يدري لعل ذلك يهديها إلى صوابها ويعطفها على فتعرف حقى حين أعود .

آسية : لا شك أنها ستعقل غدا ما لا تعقل اليوم . إن طيشها هذا

لا يمكن أن يدوم ، ولكنى أخشى يا عبد التواب أن تتحمل

مشاق الغربة دون أن تظفر هناك بما تريد ..

عبد التواب : كلا يا آسية .. إن التجارة جد متعشة هناك ، وفرص

الربح كثيرة واسعة . وأنا اليوم كما تعلمين أعانى أزمة

شديدة ، وهذه فرصة قد سنحت لتفريج ضيقتى وتحسين

حالى فلا ينبغي أن أضيعها .

آسية : سيوحشنا فراقك يا عبد التواب ، ولكن إن شرح الله

صدرك لهذا فتوكل عليه فإنك ميمون الناصية ، والله أكرم
من أن يضيع برا كريما مثلك .
(تدخل صالحة) .

صالحة : أم مستور يا مولاتي .

آسية : (تخفى برمها) هل ندخلها هنا يا عبد التواب ؟

عبد التواب : (في وجوم) نعم .. دعوها تدخل .

آسية : دعها تدخل يا صالحة (تخرج صالحة) قومي واستقبليها يا
رباب .

(ينهض عبد التواب)

آسية : إلى أين يا عبد التواب ؟ ألا تحب أن تراها ؟

عبد التواب : (محاولا إخفاء اضطرابه) سأخلو الآن قليلا إلى نفسي

لأستخير الله في أمري ، فإن رغبت أم مستور في مقابلتى ..

آسية : لا شك أنها ترغب في ذلك . إنها لا تزورنا إلا لترك !

عبد التواب : فدعها تنتظرنى .. سأعود وشيكا (يخرج من البين) .

آسية : أستغفر الله .. لا أدري لماذا ينفر قلبي من هذه المرأة

وينقبض صدرى كلما رأيته ..

(تدخل الرباب ومعها أم مستور)

أم مستور : أسعد الله صباحك يا آسية !

آسية : (تقبل عليها فتصافحها) مرحبا بك يا أم مستور ...

كيف أنت ؟

أم مستور : الحمد لله الذى لا يحمد على المكروه سواه ! (تنهد) .

- آسية : هلمى اجلسى يا أم مستور (يجلسن) .
- أم مستور : يسرنى والله أن أجد الرباب عندكم اليوم فإنى ما رأيته من عهد بعيد . كيف حالك يا بنتى وكيف حال بعلك ؟
- الرباب : الحمد لله يا خالتي أم مستور .
- أم مستور : حرس الله شبابك يا بنتى وكفالك سوء ، ألم تحملى يا بنتى بعد ؟
- آسية : دعيتها تستمتع بنفسها يا أم مستور .. علام العجل ؟
- أم مستور : صدقت يا آسية .. إنها لا تزال عروسا جديدة . الله يحميها من شر الحمل وأخطاره !
- آسية : كل شيء بقضاء الله يا أم مستور وما نحن إلا عبيده لا غلك من أمرنا شيئا .
- أم مستور : ترى أين كوثر ؟ أليست هنا فى الدار ؟
- آسية : إنها عند أهلها اليوم تزورهم .
- أم مستور : ما أذكر أنى جئت يوما قط فوجدتها عندكم .. أفتخرج لزيارة أهلها كل يوم ؟
- آسية : لا يا أم مستور بل فى بعض الأيام .
- أم مستور : يخيّل إلى أن أخاك عبد التواب لم يجد فيها بغيته وأنها لا تقوم بالواجب .
- آسية : (متضايقه) هى صغيرة السن بعد وغدا تعقل .
- عبد التواب : (صوته) هل عندكم أحد يا آسية ؟
- آسية : ادخل يا عبد التواب .. ما عندنا سوى أم مستور .

أم مستور : (بصوت خافت) يا ويلي أهو هنا اليوم ؟
عبد التواب : (يدخل) أهلا بأم مستور (يصادفها ثم يجلس)
أم مستور : كيف أنت يا عبد التواب ؟ لعلك ما تزال بخير !
عبد التواب : (يحفل قليلا ثم يستعيد هدوءه) الحمد لله يا أم مستور .
أم مستور : هل تلقيت كتابا جديدا من قاسم ؟
عبد التواب : نعم .
أم مستور : ما أنخباره ؟
عبد التواب : تسرك يا أم مستور .
أم مستور : وتجارته ؟
عبد التواب : ناجحة بحمد الله .

(يسود الصمت قليلا)

آسية : (تنهض) لقد تركنا صالحة في المطبخ .. تعالى يا رباب
لنرى ماذا صنعت .

(تخرج وتخرج خلفها الرباب) .

أم مستور : (تلفت) كل هذا بفضلك يا عبد التواب .
عبد التواب : (يتغير وجهه) بل بفضل الله يا أم مستور .
أم مستور : (تلفت ثانية ثم تدنو منه والحقه يتطاير من عينيها) بل
كان هذا بسوء فعلك أيها الأثيم ؟

عبد التواب : (يشيح عنها بوجهه وفرائضه ترعد) أما آن يا أم مستور
أن تعفى عني وتسامحيني !

أم مستور : هيات أن أنسى مصاب ابنتي فهيات أن أسامحك !

عبد التواب : كفاني يا أم مستور ما لقيت من عذاب الحسرة والندم ..
وأحسبني ما قصرت في برك ومعونتك .

أم مستور : أتحسب عطاياك وهداياك تنسيني حياة غيداء التي قضت
نحبها وهي تنوء بخزيك وعارك ؟ آه لولا خشية الفضيحة
لأعلنت أمرك في الناس ولأخبرت أخاها وزوجها فانتقما
لعرضهما منك . ولكن انتظر ! الله هو الذي سينتقم منك
وسيكون انتقامه عظيما !

(يسمع حس قادم من جهة الباب الأيسر فتعود أم
مستور إلى مكانها بسرعة) .

أم مستور : (تغير لهجتها) كل هذا بفضلك يا عبد التواب ! (تظهر
آمية مقبلة من اليسار) والله لا أنسى صنيعك ما حييت !

(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(في منزل عبد التواب — نفس المنظر كما في المشهد الأول من الفصل الأول) .

(بعد مرور عام ونصف عام من حوادث الفصل الأول)

(الوقت بعد صلاة العصر)

(تظهر صالحة داخلة من الباب الأيسر وهي تحمل قدحا مملوءا شرابا)

صالحة : هاأنذا قد عدت أصنع شراب الليمون لمولاي عبد التواب كدأى معه قبل سفره إلى الشام (تتقدم حتى تقف عند صدر المسرح) ترى ماذا يقول لي مولاي حين يعود من صلاة العصر فيجدني واقفة أنتظره هنا بقدحه ! لا ريب أنه سيسر مني وسيقول لي شكرا يا صالحة .. أشكرك يا صالحة .. إني مسرور منك يا صالحة !

(يقرع الباب الخارجي من اليمين)

صالحة : (تضع القدح في ركن أمام الأريكة) ها هو ذا مولاي قد

جاء ! (تخرج منطلقاً من الباب الأيمن ثم تعود منطلقاً كذلك فتحمل القدرح) .

عبد التواب : (يدخل) ما هذا يا صالحه ؟

صالحه : هذا يا مولاي قدرح الشراب الذي كنت أصنعه لك . أما عدت تحبه يا مولاي كمعادتك من قبل ؟

عبد التواب : (يتناول القدرح ويجلس) بلى يا صالحه إني لا أزال أحبه وأستجيده من صنع يدك .

صالحه : لكنك يا مولاي لم تأمرني بصنعه منذ قدمت من سفرك .

عبد التواب : (يحسب الشراب) إنما نسيت يا صالحه أن أسألك إياه .

صالحه : ها قد صنعه لك من تلقاء نفسي ..

عبد التواب : بوركنت يا صالحه .. أنا مسرور منك (يفرغ القدرح) الحمد لله .. أين سيدتك آسية ؟

صالحه : تصلى العصر يا مولاي .

عبد التواب : وأنت ألا تصلين يا صالحه ؟

صالحه : بلى يا مولاي .

عبد التواب : لماذا لا تصلين مع سيدتك جماعة ؟

صالحه : (تبتسم) يا مولاي .. إن النساء ، لا يسألن عن صلاتهن

فقد يكن معذورات !

عبد التواب : أما يزال يأتيك العذر يا صالحه ؟

صالحه : لم لا يا مولاي ؟ لم أبلغ بعد سن اليأس ولا أنا بالحبل ولا بالعليلة !

(يتغير وجه عبد التواب ويرنو إليها كالمطلع)

صالحة : ماذا بك يا مولاي ؟ هل أغضبك قولي ؟

عبد التواب : (كمن ينتبه من ذهوله) لا .. لا يا صالحة .

صالحة : (في استعطاف) معذرة يا مولاي إن كنت تجاوزت

حدى معك .

عبد التواب : (يحد إليها النظر) مم تعتذرين ؟ أفصحى لى يا جارية إن

كنت تعلمين شيئاً لا أعلمه !

صالحة : (في وجل) أى شىء يا مولاي ؟ إني لا أعرف ماذا تعنى .

عبد التواب : أما تعرفين شيئاً عنها ؟

صالحة : عمن يا مولاي ؟

عبد التواب : سيدتك كوثر !

صالحة : قد رأيته بنفسك يا مولاي .. ألم تعرف علتها ؟

عبد التواب : ويلك ، عن تلك العلة أسألك ؟

صالحة : ما يدرينى يا مولاي ؟ سمعت سيدتى آسية تقول إنها عرق

النساء .. والله لا أدري ما هو عرق النساء هذا ولا لماذا

اختص به النساء من دون الرجال . (يفتقر ثغره عبد

التواب عن ابتسامة يغالبها) هأتذا يا مولاي قد بدأت

ترضى عنى !

عبد التواب : أما عندك يا صالحة غير ما ذكرت ؟

صالحة : لا والله يا مولاي .. هذا كل ما أعرفه .. آه ياليتنى حقاً

أعرف طب هذا المرض إذن لشفيت لك سيدتى كوثر منه

(السلسلة والغفران)

ولو جدتها اليوم بيننا متعافية !

عبد التواب : خذى يا صالحة قدحك (يناولها القدح)
(تدخل آسية)

آسية : ما هذا يا صالحة ؟

صالحة : شراب الليمون يا سيدتى صنعتى لمولاي (تخرج) .

آسية : (تدنو من عبد التواب) هل زرت دار حميك يا عبد
التواب ؟

عبد التواب : نعم .

آسية : فكيف وجدت اليوم زوجتك ؟

عبد التواب : كما تركتها أمس .

آسية : ألم تجيء لهم بالطبيب الذى تعرفه ؟

عبد التواب : بلى قد جئتهم به اليوم ليعالجها فامتنعوا من عرضها عليه .

آسية : لماذا ؟

عبد التواب : قالوا إن ذلك حرام .

آسية : لكن هذا حلال للضرورة .

عبد التواب : حاولت جاهدا لأقنعهم بهذا فأصروا على امتناعهم وقالوا

إن لديهم طبيبة تعالجها فهم لا يريدون غيرها إشفاقا على

ابنتهم أن يلحقها الضرر من اختلاف العلاج . أتعرفين يا

آسية من تلك الطبيبة ؟

آسية : لا والله يا أخى لا أعرف من هى ولكنى سمعتهم يقولون إنها

طبيبة ماهرة .

عبد التواب : هل رأيته قط عندهم ؟

آسية : لا يا أخى ما رأيته قط .

عبد التواب : فماذا ترين ؟

آسية : هون عليك يا عبد التواب فإن الله هو الشافى لا شافى غيره .

عبد التواب : كلا يا آسية .. لست أعنى هذا .

آسية : فماذا تعنى يا عبد التواب ؟

(تدخل صالحة فى شيء من الاضطراب)

صالحة : سيدى عبد الجواد يا مولاي !

عبد التواب : فيم اضطرابك يا صالحة ؟

صالحة : (بصوت خافض) لا شيء يا مولاي .. وإنما سمعت باب

الحريم يقرع فتوقعت أن أفتح لامرأة فإذا بى يطلع لى رجل !

(يضحك عبد التواب وآسية)

(يدخل عبد الجواد)

عبد الجواد : (يرمق صالحة بنظرة غاضبة) ماذا قلت عنى يا لحناء ؟

صالحة : (وجلة) لا شيء يا سيدى .. قلت لهما إنك جئت !

(تسلم خارجة) .

عبد التواب : (ينهض له) لا تؤاخذ هذه يا عبد الجواد فإنها طيبة القلب ..

عبد الجواد : قبحها الله .. كلما فتحت لى الباب تهرب منى كأنما أنا

شيطان !

عبد التواب : هذه سليمة النية وهى تمهالك فلو أنك لايتها لاطمأنت إليك !

(يضافحه باحتفاء)

آسية : (مستضحكة) للحاك الله يا صالحة ! (تصافح عبد الجواد بغير ارتياح) .

عبد الجواد : والله ما أفسد هذه الجارية وجرأها على مثلى إلا لينكم معها واستلظافكم لسوء أدبها !
(يجلس) .

عبد التواب : يا أخى لا تأخذ هنائها مأخذ الجد .
عبد الجواد : لا على منها .. ماذا يعنينى أمرها ؟ إنما جئتك اليوم يا أخى لأكلمك فى شأن آخر .

عبد التواب : خيرا إن شاء الله .
عبد الجواد : لقد هممت أن أكلمك فى ذلك يوم مقدمك ، ولكنى أثرت ألا أخلط بالتهشة آخر . فرضت نفسى على الصبر حتى اليوم .

عبد التواب : ما ذلك الأمر الذى تريد أن تكلمنى فيه ؟
عبد الجواد : خمسمائة دينار تمنحها لمحمد ابن أخيك يستعين بها فى زواجه .

آسية : ليت شعرى متى يتزوج محمد هذا ؟ لقد ظللت تحدثنا عن زواجه منذ أربع سنين .

عبد الجواد : (مفضبا) ما شأنك أنت ؟ إنما أطلب من أخى لا منك .

عبد التواب : فيم يا أخى أجلت زواجه حتى اليوم ؟

عبد الجواد : لضيق ذات يد يا عبد التواب .. ليس عندى ما أصلح به

شأنه .. لقد سألتك هذه المعونة قبل سفرك فاعتذرت

يومئذ بالضيق ، وها قد وسع الله عليك اليوم فقدمت من

الشام بمال عظيم ، فما ضر لو أفضلت على ابن أخيك كما

أفضلت على الناس الأبعد !

آسية : من ذا تعنى بالناس الأبعد ؟

عبد الجواد : اطمئنى فما أعنى بناتك . هذا قاسم المغربي الذى كان

بالأمس مفلسا قد صار اليوم غنيا وقد حضر من الشام

لتزويج أخته ، وأعد لها جهازا عظيما .

عبد التواب : ما شأنك بقاسم المغربي ؟

عبد الجواد : ألسنت أنت الذى أنكته كل هذا من فضلك ؟ وأنا وأولادى

أولى بمعروفك !

عبد التواب : إن اغتنى قاسم فبعده ومهارته ، ولا فضل لى عليه بل له

الفضل على .

عبد الجواد : أنت أعطيته رأس المال .

عبد التواب : لمنفعتى أعطيته ذاك ، فقد رد الدين الذى لى عليه

وأشركنى بعد ذلك فى مكاسبه .

عبد الجواد : حقا إنك لأعرف منى بشئون المال وأدرى منى بطرق

استثماره . وقد أعطاك الله الخير فلا تضن على ابن أخيك

بنفقة زواجه .

آسية : قد أعطاك عبد التواب مائتي دينار ومائة دينار مرة أخرى من أجل هذا الزواج فماذا صنعت بها ؟

عبد الجواد : (محتدا) رميت بها للشيطان .. ألقيتها في البحر .. ما شأنك أنت ؟ لقد كفلك عبد التواب وكفل بناتك ورباهن وزوجهن ، فدعيه اليوم يحسن إلينا .. ماذا يضرك ؟ ..

آسية : يضرني ما يضر عبد التواب فلا كافل لنا غيره . وعلى أن أرعى مصلحته وألا أدع أحدا يترز ماله بالاحتيال عليه !
عبد الجواد : أنت ترعين مصلحته ! والله لا ترعين إلا مصلحتك ومصالح بناتك !

آسية : نعم .. إني أرعى مصلحتي في مصلحته . أما أنت فلو استطعت أن تجرده من كل ماله لما باليت . لقد بلغ من حرصك وسوء دخيلتك أن طمعت في ميراثه وهو حي ، فكرهت له أن يتزوج لئلا ينجب ولدا يحجبك !

عبد الجواد : كذبت .. إنما كنت أريد لأخي زوجة صالحة تقر بها عينه لا كهذه التي اخترتها له فنغصت بها عيشه وأطلت بها همه . ويلك ألا يعز عليك أن يقدم من السفر فلا يجد زوجته في داره ؟

آسية : ويلك إنها مريضة .. أفتلومني على أن أمرضها الله ؟

عبد الجواد : هذه ليست مريضة .

عبد التواب : (يراغ قليلا ولكنه يخفى اضطرابه) فماذا بها إذن ؟
عبد الجواد : إنما اعتلت بالمرض كراهية أن تلقاك وتقيم معك . أما كانت
تكره معاشرتك من قبل ؟

آسية : قد كان ذلك منها إذ كانت صغيرة بعد . ولكنها ما لبثت
بعد رحيله عنها أن عادت إلى صوابها فهي اليوم تحبه
وتعزه ، ولولا المرض لكانت اليوم هنا وتمت بها سعادته .

عبد الجواد : هل شققت عن قلبها فعرفت أنها تحبه ؟
آسية : عرفت ذلك من كثرة اهتمامها واهتمام أمها به وهو غائب
بالشام وسؤالهما عنه وعن موعد أوبته .

عبد التواب : (في شبه ذهول) أو كائننا تكثران السؤال عن موعد أوبتي
يا آسية ؟

آسية : نعم يا عبد التواب . لشد ما كائننا تتلهفان على أنبائك
وترقبان يوم قدومك !

عبد الجواد : لعل ذلك لتعلما متى ينبغي لكوثر أن تفتعل هذا المرض .
آسية : ما أسخف رأيك .. أظنّها تصبر على ملازمة قراشها

شهرين من أجل مرض مفتعل ؟

عبد الجواد : ماذا علّى منها إن صح مرضها أو لم يصح ؟ إن كان عبد
التواب يقبل نصيحتي فليطلقها وليرح باله !

آسية : اعلم يا عبد الجواد أنه إن طلقها فسيتزوج واحدة أخرى !

عبد الجواد : فليفعل .. من ذا يمنعه من ذلك !

عبد التواب : (يثور فجأة كأنما كان نائما فنبهته لدعة نار) كلا والله

لا أطلقها أبدا .. ويلكما ما أنتما وذاك ؟ من ذا أباح لكما
أن تتداخلا في خويصة أمرى ؟ أرايت يا عبد الجواد لو أنى
وقعت في أم أولادك أمامك وقلت لك طلقها أكنت تقبل
منى ذلك ؟

عبد الجواد : (مستعظما) معذرة يا أخى .. لا تغضب منى فوالله ما
جئت لأنصحك في زوجتك فأنت حرق أمرها . ولكن
هذه الأخت العاقبة قد استفزتنى فاستدرجتى إلى الخوض فيما
لا يحق لى ولا لها من خويصة أمرى !
آسية : والله إنك لأنت الأخ العاق ، لا يرجى خيرك ولا يؤمن
شرك .

عبد الجواد : إنما تريد أن تحرمنى برك لتستأثر به دونى ودون ..
عبد التواب : (صائحا بغضب) كفى ملاحاة عندى ، ويلكما لقد
زدتمانى هما على هى ، (يسود الصمت هنيهة) سأعطيك
يا عبد الجواد ما تريد لابنك فانصرف الآن إن شئت .
عبد الجواد : (ينهض) شكرا يا أخى سأمضى الآن إلى محمد وأبشره
بأن سؤاله قد أجيب ، (يخرج) .

آسية : عسى ألا تكون واجدا على يا عبد التواب .
عبد التواب : عليك أنت يا آسية ؟ معاذ الله .. لو وجدت على الناس
جميعا ما وجدت عليك . مالى فى الدنيا أحد سواك !
(تدخل صالحة)

صالحة : أم مستور يا مولاتى .

آسية : (متأففة) أم مستور .. ما يجيئها في هذا الوقت ؟
عبد التواب : دعها تدخل يا صاحبة (تخرج صاحبة) .
آسية : أستغفر الله يا أخى .. لا أدري لماذا لا يقبل قلبى هذه
المرأة !

عبد التواب : علام يا آسية ؟ إنها امرأة منكوبة تستحق العطف
والرثاء .. هل بعثت إليها بهدية السفر ؟
آسية : نعم بعثت إليها بما أمرتنى به .
عبد التواب : لعلها جاءت لتشكرنا على الهدية .
آسية : ما إخالها فرحت كثيرا بهديتنا بعد ما أغرقها قاسم المغربي
بهداياه .

عبد التواب : يا ويح قاسم ! إنه يكرمها وفاء لزوجته المتوفاة !
(تدخل أم مستور فتنهض لها آسية مرحبة)
أم مستور : مرحبا بقدمك يا عبد التواب . الحمد لله إذ عدت سالما
غانما إلى أهلك وبلدك . (تصافحه) .
عبد التواب : شكرا يا أم مستور .. يهنيك قدوم قاسم .
أم مستور : (تجلس) بفضللك يا عبد التواب .. كل هذا من خيرك .
إنه يشنى عليك ثناء لو سمعته لأخجلك !
عبد التواب : (يتغير وجهه قليلا) والله يا أم مستور ما يستحق الثناء
غيره .. لقد كان لى نعم الشريك الأمين .

أم مستور : وكنت له نعم الصديق الوفى !
عبد التواب : أستغفر الله يا أم مستور .. ما صنعت له شيئا .

أم مستور : بل صنعت له ما لم يصنع صديق لصديقه الدهر !
عبد التواب : لعل قدومه شرك وسرى عنك !
أم مستور : لا والله يا عبد التواب ، بل جدد أحزاني على غيداء واستثار
شجوني .

عبد التواب : (يغالب تأثره) يحزننا يا أم مستور أن يطول عليها حزنك
ويعز سلوانك .

آسية : أجل .. نسأل الله أن يلهمك العزاء يا أم مستور .
أم مستور : (تغرورق عيناها بالدموع) كيف السبيل إلى العزاء يا
آسية وكل شيء يذكرني غيداء ؟ حجرتها ومتاعها وثيابها
وزوجها الحزين .. وعبد التواب .

آسية : (في استغراب) عبد التواب !؟
أم مستور : نعم حتى أخوك عبد التواب تذكرني رؤيته بمصاب
ابنتي .. أليس هو صديق زوجها الحميم ؟

آسية : كان الله لك يا أم مستور .. لشد ما أوغل بك الحزن !
أم مستور : يعجب الناس من فرط حزني على غيداء . آه لو كانوا
مكاني لعذروني ! (تمسح دمعها) ويلي .. نسيت أن
أسألكما عن كوثر .. كيف حالها الآن ؟

آسية : ادعى لها يا أم مستور . ما زالت راقدة في فراشها .. كان
عبد التواب عندها اليوم .

أم مستور : عجل الله لها بالشفاء ! مسكينة ! ماذا جنت يا ربي حتى
تبتليها بهذا العقاب ! ألم يعرفوا ما مرضها بعد ؟

- آسية : قالوا إن بها عرق النسا .
أم مستور : عليهم إذن أن يدثروها بالأغطية الثقيلة فما لهذا المرض خير
من الدفء !
آسية : أجل .. إن أهلها لم يقصروا في ذلك فما تراها إلا عليها
الأغطية والدحف .
أم مستور : يعز عليّ والله أن تعتل كوثر . لقد كانت تحبني وتودني
بالزيارة بين حين وحين .
عبد التواب : أين كانت تزورك يا أم مستور ؟
أم مستور : في بيتي .. ألا تعلم يا عبد التواب أن غيابك بالشام لم يقطع
عني برك ولا وداك . البر يأتيك كالعادة من طريق
أختك ، والوداد يتخولني من طريق زوجتك !
عبد التواب : أكانت تزورك مع والدتها ؟
أم مستور : كلا ما زارتني مع والدتها قط . كانت كوثر تزورني
وحدها .
عبد التواب : هذا عجيب !
أم مستور : لا تعجب يا عبد التواب فإنها تعرف وداك لي وعطفك
عليّ فلعلها أحبت أن تودني في غيابك من حبها لك !
عبد التواب : هل كنت تعرفين ذلك يا آسية ؟
آسية : لا يا أخي ، ما علمت بهذا إلا الساعة من أم مستور . لعلها
كانت تزور أم مستور حين تكون عند أهلها .
أم مستور : نعم كانت تأتيني من بيت أهلها فأنس بها وتأنس لي ، وما

انقطعت عن زيارتي إلا حين أقعدها المرض .

عبد التواب : (يلحظ تغير وجه أخته) هل لك يا آسية أن تصنعى لنا قليلا من شراب الليمون بيدك فقلما يعجبني ما تصنعه صالحة ؟

آسية : حيا يا أخى وكرامة (تخرج) .

عبد التواب : (يدهنو من أم مستور) ما هذا الذى صنعت ؟ ألا تكفين عن تورياتك وتلميحاتك ؟ أتريدى أن تدعى أختى ترتاب من أقوالك ؟

أم ميسور : ما حيلتى فيك وأنت بطيء الفهم ؟ (بصوت يتأجج فيه الحقد) يا هذا كما تدين تدان !

عبد التواب : ماذا تعنين ؟ أفصحى ويلك !

أم ميسور : كوثر حبلى !

عبد التواب : ويلك ما تقولين ؟

أم ميسور : حبلى فى شهرها السابع ! الحمد لله إذ أحيانى حتى رأيت الانتقام الإلهى قد حل بك وحق عليك ! الآن استراح

قلبى واشتفى غليلى ! .. مالك لا تحيب ؟

عبد التواب : إن كان ما تقولين حقا فاشمتى لى وبها ما شئت ؟

أم ميسور : كلا لا أشمت بك . أما كوثر فأنى والله لآسى لها ، فقد كانت تودنى بالزيارة حتى أصبح بيتى كأنه بيتها ! وكثيرا ما كنت أغيب عن المنزل فأجدها تنتظرنى حتى أجيء !

عبد التواب : كأنك اتخذت لك خادما فى منزلك ؟

أم ميسور : كلا .. من أين لي نفقة الخادم ؟ إلى أخدم نفسي .
عبد التواب : فكيف تدخل كوثر المنزل ؟ من ذا كان يفتح لها الباب ؟
أم ميسور : مستور ابني .. كان يفتح لها الباب فيدعها تنتظرني في
حجرة وحدها حتى أعود !

(تسمع خطى آسية قادمة فيعود عبد التواب إلى مجلسه
الأول)

(تدخل آسية حاملة قدح شراب فتقدم أحدهما لأم
مستور والآخر لعبد التواب)

أم ميسور : (تشرب قدحها) شكرا يا آسية (تنهض) قد آن لي
الساعة أن أنصرف .

آسية : (مجاملة) ألا تبقى قليلا بعد .

أم ميسور : شكرا . قد دنا وقت المغرب ، وحسبي أنني وجدت عبد
التواب وجلست معه بعد الغياب الطويل .

عبد التواب : (بادی الأسي) شكرا يا أم مستور لزيارتك .

(تخرج أم مستور تشيعها آسية إلى الباب) .

عبد التواب : (يتحدث نفسه متمتا) كما تدين تدان ! الانتقام الإلهي !

آسية : (تعود فتدنو من عبد التواب) ما بالك يا أخي واجما ؟
ماذا بك ؟

عبد التواب : كوثر يا آسية ..

آسية : ما لها ؟

عبد التواب : ليست بمريضة ..

آسية : أصدقت ما قاله عبد الجواد ؟

عبد التواب : لا بل ما قالت أم مستور .

آسية : ماذا قالت ؟

عبد التواب : إنها حبلى . !

آسية : حبلى !

عبد التواب : في شهرها السابع ..

آسية : أقالت لك أم مستور هذه القولة ؟

عبد التواب : نعم يا آسية .

آسية : يا لعجوز السوء ! ويلها .. ما أجرأها على الكذب !

عبد التواب : ما يدريك يا آسية .. لعلها كانت صادقة .

آسية : كلا هذا محال .. هذا كذب .. هذا بهتان-نعم إن كوثر

فتاة مدللة ولكنها من بيت كريم ، وأمها امرأة شديدة

حازمة ، فمحال أن تقترف هذه الزلة ! لا يا عبد التواب

لا تصدق هذه المرأة الشريرة .

عبد التواب : لكن القرائن تؤكد صدق هذا القول . ألا تريسن إلى

ملازمتها الفراش وإلى تلك الأغطية الثقيلة لا يرفعونها عنها

حتى في هذا الحر الشديد ؟ .

آسية : ألم تقل أم مستور نفسها أنفا إن عرق النسا يتطلب فرط

الدفء ؟

عبد التواب : كانت تريد أن تلمح لي بهذا الأمر ، فلما أعيهاها إفهامي إياه

بطريق الإشارة أعلنته لي بصرح العبارة !

آسية : لا يا عبد التواب . حرام أن توصم امرأة بالعار من أجل أنها
لزمت فراشها متدثرة !

عبد التواب : فما تقولين في رفضهم الطبيب الذي أحضرته ؟
آسية : كثير من الناس يتخرجون من عرض حريمهم على الأطباء
الذكور .

عبد التواب : وفيما امتنعوا من حملها إلى داري فتمريضها عندي ؟
آسية : يا أخي إن هذا أمر عظيم لا يجوز لنا تصديقه بمثل هذه
الشواهد المحتملة .

عبد التواب : وإذا ثبت غدا أن هذا حق ؟
آسية : إن ثبت — معاذ الله — أن هذا حق فلتطلقها ولا جناح
عليك !

عبد التواب : (يصمت هنيهة مطرقا) ماذا يكون مصيرها يا آسية إن أنا
طلقتها ؟ ماذا يقول الناس عنها ؟
آسية : لا شأن لك بمصيرها حينئذ . إنها ليست من بيتك فعارها
لا يلحقك .

عبد التواب : بأي وجه تقابل الناس بعد ذلك ؟
آسية : هذا جزاء ذنبها هي فما ذنبك ؟
عبد التواب : ما يدريك ألا يكون هذا جزاء ذنبي ؟ إن لله لغضبات ثدى
علينا أسبابها يا آسية ؟

آسية : ويحك يا أخي .. أي ذنب لك في هذا ؟
عبد التواب : ألم أرحل عنها وهي عروس وغبت عنها عاما ونصف عام ؟

آسية : ما أنت أول زوج دعتة مصلحته للرحيل عن زوجته فرعت
هي حرمة .

عبد التواب : وأمها وأبوها ماذا يكون مصيرهما ؟ أى ذنب جنياه على
فأدنس اسمهما فى الناس ؟

آسية : عجباً لك يا أخى . تصدق زلتها من كلام أم مستور الثمامة
ثم تشفق عليها وعلى أهلها من عاقبة الزلة ؟

عبد التواب : (يتنهّد) ياليتنى ما تزوجت يا آسية .. ما كان ينبغى لى أن
أنزوج قط !

(يسمع قرع على الباب الخارجى من جهة اليمين) .

آسية : ترى من الطارق ؟

عبد التواب : (ينهض) ادخلى يا أختى .. لعل هذا قاسم المغربى قد جاء
فإنى منه على موعد ..

(يخرج من اليمين) .

آسية : يا ويح عبد التواب . أتئى له الصبر على هذا إن ظهر غدا أنه
حق ! اللهم لطفك وسترك ! اللهم لا تفضحنا بذنوب
غيرنا .

(تأخذ القدحين وتخرج)

(يدخل عبد التواب ومعه قاسم فيجلسان) .

قاسم : (يتأمل فى وجه عبد التواب) ماذا بك يا عبد التواب
اليوم ؟ هل تشكو شيئاً ؟

عبد التواب : لا يا قاسم .. ما بى من شيء .

قاسم : إني صديقتك يا عبد التواب وأسير فضلك وإحسانك ، فلو
بثت لي شكواك لعلّي أقدر أن أخفف عنك فأجزيك بعض
حقك !

عبد التواب : شكرالك يا قاسم .. ليس لدى غير الإشفاق على زوجتي
العليلة فقد ساء حالها اليوم .

قاسم : يا ويحها .. ألم يهتدوا لها إلى علاج نافع ؟

عبد التواب : ما أحسب علتها مما يجدي فيه العلاج .

قاسم : لا تبئس يا أخى .. هذا عرق النسا .. لا خطر منه ألبتة
على صاحبه وإن كان ألمه بالغ الشدة .. إني لأذكر أُمى —
رحمها الله — كانت قد أصيبت به وهى حبلى بأختى
فوز ..

عبد التواب : (فى ذهول) حبلى !

قاسم : نعم .. كانت فى شهرها السابع فتظاهر عليها ثقل الحمل
وشدة المرض حتى ظننا جميعاً أنها لن تنجو من ذلك .
ولكن الله لطف بها فما وضعت حملها حتى خفت عنها
وطأة المرض كأنما كانا على ميعاد ، ثم ما كادت تتعلّى من
نفاسها حتى خرجت تمشى فى الطريق كأن لم يصيبها شيء
قط .

عبد التواب : (يتمعر وجهه) ألأنت أيضاً شامت لى يا قاسم ؟

قاسم : (مستغرباً) أنا أشمت بك ! معاذ الله يا أخى .. أى شيء
أخطر هذا ببالك ؟ والله إن همك لأشدّ علىّ من همى .

- عبد التواب : علام إذن قصصت على قصة أمك ؟
قاسم : إني لا أرى في قصتها ما يمكن أن يؤلمك . والله ما أردت بها
إلا أن أسرى عنك وأقوى فيك الثقة بشفاء زوجتك ..
ويحك يا عبد التواب أبعد ما غمرني فضلك وراشتني
مروءتك تشك في إخلاصي لك ؟
عبد التواب : اغفر لي يا قاسم فقد أثمت في حقك .
قاسم : كل شيء يجوز في الدنيا إلا أن يشمت قاسم بعبد التواب !
عبد التواب : صدقت يا أخى .. هب لي ما كان مني فقد ترى ما أنا فيه .
قاسم : لا تثريب عليك يا أخى فإني أعرف عذرك . وحسبي أن
قلبك لم يتغير على .
عبد التواب : لن يتغير قلبي عليك أبدا يا قاسم .
قاسم : قسما بالله يا عبد التواب إن الموت لأهون عندي من
ذلك .
عبد التواب : بيد أني أخشى يا قاسم أن يتغير قلبك يوما على !
قاسم : معاذ الله يا عبد التواب .. إنني إذن لخوان لثيم !
عبد التواب : حاش لله .. إنك لوفى كريم .
قاسم : (بعد صمت قصير) هل لي الساعة أن أكلمك فيما جئت
من أجله ؟ أم ترى أن أوجله إلى وقت آخر ؟
عبد التواب : بل كلمني الساعة فإني مصغ إليك .
قاسم : هل تأذن لي أن أمكت أسبوعا آخر فإني ما فرغت من تجهيز
أختي بعد ؟
عبد التواب : أفى هذا تستأذنني ؟ أمكت عند أهلك ما شئت يا قاسم ولا

ترحل حتى تقضى لهم جميع شئونهم .

قاسم : لا يا عبد التواب لو مكثت حتى أقضى جميع شئونهم
لتعطلت تجارتنا بالشام ، ولكنى سأبقى حتى أزوج أختى
فوز .

عبد التواب : لعلكم وجدتم لها الزوج الكفاء .

قاسم : أحسبني قد أخبرتك من قبل أننا سنزوجها لمستور !

عبد التواب : (فاغرا فاه) لمستور !!

قاسم : نعم .. إنه جندى مرجو الغد ..

عبد التواب : ألم تجد لأختك إلا هذا يا قاسم ؟ هلا تريثتم حتى تجدوا لها
خيلا منه ؟

قاسم : عجبا يا عبد التواب .. قد حدثتك مرارا أننا سنزوجها

لمستور . وكان آخرها يوم رحيلنا من الشام .. ألا تذكر

ذلك يا عبد التواب ؟

عبد التواب : بلى يا قاسم ؟

قاسم : فما اعترضت على هذا إلا الساعة . خبرنى يا عبد التواب

هل بلغك عن مستور سوء حين قدمت ؟

عبد التواب : لا يا قاسم .

قاسم : هل علمت عليه شيئا يعيبه عندك ؟

عبد التواب : لا .

قاسم : فما حملك على تنفيرى منه ؟

عبد التواب : لا أدري يا قاسم ، بيد أن قلبى يحدثنى أن أختك لن

تسعد معه .

قاسم : إن الزواج يا عبد التواب قسم وحفظ ، وحسب وتلى الفتاة أن يختار لها من يصلح لها ولا عيب ظاهرا فيه . أما ما وراء ذلك فعلمه عند الله .

عبد التواب : إني أخشى على أختك يا قاسم !

قاسم : ماذا تخشى عليها ؟

آسية : (كأنما يقولها بدون وعي) السلسلة !

قاسم : (متعجبا) السلسلة ؟ ماذا تعنى ؟

عبد التواب : (كمن يعود إلى صوابه) لا شيء يا قاسم لا شيء .

قاسم : إنك قلت السلسلة .

عبد التواب : هل قلتها ؟

قاسم : نعم .. سألتك ماذا تخشى على أختي فقلت السلسلة ..

فماذا تعنى يا عبد التواب ؟

عبد التواب : أعنى .. أعنى سلسلة الشقاء التى تربط مصاير البشر على هذه الأرض .

قاسم : ما أحناك على صديقك وأشد اهتمامك بصلاح أمره ! هذه السلسلة من غيب الله يا عبد التواب لا يعلمها سواه .

عبد التواب : (بصوت ضعيف) صدقت يا قاسم ، ولكنى أود لو تزوجها لغيره .

قاسم : لا سبيل إلى ذلك يا عبد التواب ، فقد سبقت منى كلمة الوعد لأمه ولأخته غيداء رحمها الله ، فماذا تقول حماق .

عنى إن أنا رفضت اليوم ما قبلت بالأمس ؟

عبد التواب : أوقد دفع لكم مهرها ؟

قاسم : لا يا عبد التواب .. سأدفع المهر عنه من عندى .

عبد التواب : من عندك ؟

قاسم : نعم .. من أجل أخته غيداء يا عبد التواب

(يترقق الدمع فى عينيه) .

عبد التواب : ما أشد وفاءك لزوجك يا قاسم !

قاسم : والله يا عبد التواب لو قضيت لها حق الوفاء ما عشت بعدها

يوما .. إنك لا تعرف عنها ما أعرف يا عبد التواب ، وإلا

لقل عندى ما ترى من حزنى عليها مهما جل .

عبد التواب : (تتحادر دموعه) أحسن الله عزاءك يا قاسم !

قاسم : ويحك .. تبكى من أجلى .. ويك ما بك !

عبد التواب : آه لو تعلم يا قاسم أن مصابى لمن بعض مصابك !

(يعتقان باكيين) .

(ستار)

المشهد الثاني

(في دار إسماعيل المرزوق — حجرة متوسطة ذات أثاث لا بأس به إلا أنه قديم . يرى في الصدر سرير عريض منخفض ويرى في الجانب الأيمن مقعد طويل — للحجرة بابان أحدهما (في أقصى اليمين) يوصل إلى حجرة أخرى خاصة بإسماعيل ، والآخر (على اليسار) يؤدي إلى سائر الدار .)

(الوقت بعد غروب الشمس)

(ترى كوثر مضطجعة على السرير وفوقها الأغطية الثقيلة .)

كوثر : يا إلهي .. أما لهذا العذاب من آخر ؟ ليل يجيء وليل يروح وأنا أألزم هذا الفراش لا أبرحه خشية أن تراني العيون ! (تجهش بالبكاء) لكن عين الله تراني ولا يخفى عليها سرى مهما كثفت هذه الأغطية ! (تلقي الأغطية عنها بقوة وغيظ فتزل من على سريرها وتجلس على المقعد) يا لهذا العار ينمو في أحشائي كل يوم ! (تضع يدها على بطنها) ماذا صنعت أدوية أم جابر وأشربتني المرة ؟ لكانها تطعمه وتسقيه لينمو ويشتد حتى يخرج يوما فيصبح بملء فيه :

اشهدوا يا عباد الله أن أمي قد فجرت !

(تدخل ميمونة)

ميمونة : ما جلوسك هنا يا كوثر ؟ عودي يا بنتي إلى فراشك !
كوثر : لقد سئمت هذا الفراش يا أماه .. دعيني أسترح هنا قليلا
فلن يجيئنا الساعة أحد .

ميمونة : ستجيء الآن أم جابر .
كوثر : ماذا صنعت لي هذه الدجالة ؟ لقد أفسدت كبدي
بأشربتها المرة دون أن تجدي شيئا .. أبعديها يا أماه عني ..
لا أريدها بعد اليوم .

ميمونة : اصبري قليلا يا بنتي .
كوثر : إلى متى أصبر ؟ لا يا أماه ما بقي لي صبر .. (تبكي)
ارحموني يا عباد الله ! ارحموني .

ميمونة : إني سأغلف لها القول يا كوثر الليلة ، فإذا لم تعطنا دواء
ناجعا في الحال فستتركها ونلتمس غيرها .

كوثر : أتؤين بعد يا أماه أن تأتيني بقبالة جديدة ؟
ميمونة : خفضي عليك ، ربما لا يحوجنا الله إليها يا بنتي .. هيا
ارجعي إلى فراشك .

كوثر : أنا هنا في الظلام يا أماه .
ميمونة : إني سأوقد المصباح الساعة .
كوثر : لا توقديه يا أماه .. دعيني في هذا الظلام .
ميمونة : كلا يا بنتي .. يجب أن ننفي عنا كل شبهة ! (توقد

- المصباح) هيا يا كوثر قومي إلى فراشك .
- كوثر : دعيني يا أماه فما أحد يراني .
- ميمونة : ربما يعود أبوك من الجامع بغتة فيراك .
- (يسمع قرع على باب الدار)
- ميمونة : هيا أسرعى إلى أغطيتك فإننا لا ندرى من الطارق !
- (يخرج) .
- كوثر : (تعود سريعا إلى سريرها وتتدثر بالأغطية) أى مخلوق يصبر على هذه الحال ؟ عجل بموتى يا رب ولا تفضحنى فى الناس !
- (تعود ميمونة ومعها أم مستور وأم جابر)
- أم جابر : هل سقيتها الدواء الجديد يا ميمونة ؟
- ميمونة : نعم ولم تظهر نتيجة !
- أم جابر : (تدنو من كوثر فتكشف الأغطية عنها وتجلس بطنها ثم تعيد الأغطية عليها) هذا دواء شديد .. سبحان الله .. كيف قوى هذا الجنين عليه ؟ (تجلس على المقعد) .
- ميمونة : (نافذة الصبر) اسمعى يا أم ميسور .. أنت التى دلتنا على هذه القابلة ، وقد وضعنا فيها ثقتنا من أجلك ، ولقد طال علاجها بدون جدوى ، فإن كانت لا تقدر على شيء فلتصدقنا لنتمس سواها !
- أم جابر : إن كنتم لا تصبرون على علاجى فأعطوني أجرى المعلوم واتمسوا غيرى .

- ميمونة : كلا .. لا نعطيك شيئا .. ماذا صنعت لنا ؟
أم جابر : قد اتفقنا على ذلك .
ميمونة : اتفقنا على أن تأخذه حين يظهر الأثر المطلوب .
أم جابر : سيظهر عما قريب .
ميمونة : متى ؟ أحين تتم شهرها التاسع ؟
أم ميسور : اصبري قليلا يا ميمونة !
ميمونة : كلا لا أصبر أطول مما صبرت .
أم جابر : فهاتي أجرى وخلالك ذم
ميمونة : لا أجر لك عندي .
أم جابر : ما من أحد يجرو على أن يأكل أجرى يا ميمونة ! تذكرى
أن هذا السر لا ينبغي أن يعلم به أحد !
أم ميسور : لا بأس أن تصبري قليلا بعد يا ميمونة . إنها ستعطيكم
الليلة دواء آخر ..
ميمونة : (بانكسار) أين هو ؟
أم جابر : (تناولها كيسا صغيرا) أذبي هذا في الماء لتشر به الليلة عند
النوم .
أم ميسور : سينفعها هذا بإذن الله .
(تنهض أم جابر لتصرف)
ميمونة : ألا تليئين قليلا يا أم جابر ؟
أم جابر : أعفيني .. عندي بيوت أخر تنتظرنى ..
ميمونة : هل نعطيها هذا القدر كله الليلة ؟

- أم جابر : نعم أذيبه كله في قدح ماء وأسقيه لها .
(تخرج وتخرج خلفها ميمونة لتشيعها)
- أم ميسور : (تدنو من كوثر) لا تبتئسى يا بنتى .. سيفيدك هذا الدواء الجديد إن شاء الله .
- كوثر : (تشيح بوجهها عنها ولا تحيب) .. ؟
- أم ميسور : ويحك يا بنتى أصبحت اليوم لا تطيقين رؤيتى . لا بارك الله في مستور .. لو كنت أعلم أنكما ستأتيان هذا في غيابة لحميتك منه !
- (تعود ميمونة)
- أم ميسور : إياك يا ميمونة أن تغضبى أم جابر ، إنها صارت تملك سرنا اليوم .
- ميمونة : والله ما بلانا بها سواك . لو تركتنا من قبل نختار لنا قابلة أخرى لكننا قد تخلصنا منذ زمان .
- أم ميسور : ما ذنبى يا ميمونة ؟ لقد تخيرتها لكم لما بلغنى من مهارتها في هذا الفن .
- ميمونة : فقد وضح أنها دجالة نصابة . وأنت كنت السبب ! الكائنما جئت بهذه لتعوقنا عن إجهاض كوثر حتى اليوم !
- أم ميسور : (مضطربة) كلا يا ميمونة إني لا أقبل منك هذا الاتهام ! ما ذنبى أنا في ذلك ؟
- ميمونة : (محتدة) ما ذنبك أنت ! ويلك .. هل نالنا كل هذا الشر إلا من قبلك ؟

أم ميسور : (بصوت تتصنع فيه الحزن) ما ذنبى أنا يا مسلمون ؟
إننى امرأة منكوبة (تبكى) لقد نكبت أمس بوفاة ابنتى
الوحيدة وهى أعز شئ عندى ، وهأنذا اليوم أنكب
بطيش ابنى فتلقى تبعته على وتنسب جريرته إلى !
(تكفكف دمعها) ألا تعلمين يا ميمونة أننى شريكك فى
هذا الهم الطويل وأننى أشفق على ابنى من هذا الأمر كما
تشفقين على ابنتك .

ميمونة : هيات يا أم مستور : أنا عندى الفريسة تتوجع وتعذب ،
وأنت عندك الجانى يرقل فى ثياب العرس وينعم ويضطرب .
أم ميسور : لو عرفت يا ميمونة ما حل بمستور لرثيت لحاله . لقد أمروه
اليوم بأن يتجهز للسفر مع الفرقة الداهية إلى ميدان القتال
فى حلب . إنه سيفترق عن عروسه ولما يمض على زواجهما
غير أسبوعين ! كأن الله أراد أن ينتقم لكوثر منه !

ميمونة : هذا قليل فى جنب ما فعل ! سينتقم الله منه أكثر من ذلك .
أم ميسور : ذلك ما أحشاه يا ميمونة .. أخشى أن يظهر هذا السر
فيتغير علينا قلب قاسم ويقطع عنا بره ومعونته .. وربما
سعى لتطليق أخته منه . إنك تعرفين صداقة قاسم لعبد
التواب وإخلاصه فى حبه .

(يسمع خفق نعال من الداخل)

ميمونة : هذا إسماعيل قد جاء من صلاة العشاء .
أم ميسور : (تنهض) يا ولى .. لقد تشعب بنا الحديث فأنسانى

موعد الانصراف . ثقي يا ميمونة أن سر كم هذا هو
سرى ، وما ينالك من سوء ينالنى مثله . نسأل الله الستر
والعافية (تخرج وتخرج ميمونة لتشيعها) .

إسماعيل : (صوته من حجرته على اليمين) ميمونة ! ميمونة !
كوثر !

كوثر : ليك يا أبى ؟

إسماعيل : من ذا عندكم ؟

كوثر : لا أحد يا أبى .

إسماعيل : (يدخل من اليمين) أين أمك يا كوثر ؟

كوثر : فى الدار يا أبى .

إسماعيل : (يدنو منها) ويحك يا بنتى .. هل تحسین بوجع شديد ؟

كوثر : شديد جدا يا أبى .

إسماعيل : أين تحسین الوجع ؟ (يلمس بيده الغطاء عند رجلها)

كوثر : (تصيح) آه لا تلمسنى !

إسماعيل : هل آلمك هذا ؟ إني ما لمست غير الغطاء .

(تدخل ميمونة)

ميمونة : ويلك يا رجل ! قلت لك مرارا لا تلمسها ولا تقترب

منها ! إنها تنألم حتى من أيسر لمس .

إسماعيل : معذرة .. فقد نسيت (يجلس على المقعد) هلمى يا

ميمونة ، عندى حديث هام لك .

ميمونة : (تجلس إلى جانبه) ماذا عندك ؟

إسماعيل : اتصل بى عبد التواب الليلة فى الجامع فانتبذ بى ناحية ،
وأقسم لى ليحملن كوثر إلى داره الليلة سواء رضينا أو
أبينا .

ميمونة : ومن ذا يطاوعه على ذلك ؟

إسماعيل : إنه قد أقسم يا ميمونة .

ميمونة : فليكفر عن يمينه إن شاء . أما أنا فوالله لا أتركه يحملها وهى
بهذه الحال أبدا .

إسماعيل : لقد طال بها المرض عندنا ، فما ضر لو تتركه ينقلها إلى
داره لعل الله يمن عليها بالشفاء هناك .

ميمونة : ويلك .. أليس الله هنا هو الله هناك يا رجل ؟

إسماعيل : بلى ولكن لعل تغيير الدار ينفع صحتها . والله لا أدري فيم
هذا التشبث بإبقائها عندنا حتى أغضبنا زوجها علينا ؟

ميمونة : أوقد صرت من رأيه ؟ ويلك ألأردت أن تتخلص من
ابتلك ؟ أين حبك لها وتدللك ؟

إسماعيل : سبحان الله .. هذا زوجها يطلبها إلى داره فبأى حق نمنعها
عنه ؟

ميمونة : ماذا يصنع بها وهى فى هذه الحال من المرض ؟

إسماعيل : إنه يريد أن يمرضها عنده .

ميمونة : كلا .. لا أستطيع أن أكل تمريضها إلى أحد .

إسماعيل : قال لى إنه لا بأس أن تقيمى أنت عنده وتساعدى على
تمرريضها إن شئت ، فداره واسعة .

- ميمونة : كلا لا أقيم عند الناس وأترك دارى وزوجى .
- إسماعيل : لا شأن لك بى .. سأتولى أمرى بنفسى .
- ميمونة : ودارى كيف أتركها ؟ ماذا يقول الناس عنى ؟
- كوثر : احملونى إليه واستريحوا وأريحونى من هذا العذاب !
- ميمونة : اسكتى أنت يا كوثر . (لزوجها) أرأيت كيف أغضبت ابتك !
- إسماعيل : لعل الرجل يتهمنا بالتقصير فى علاجها إذ امتنعنا من إدخال الطبيب عليها . فهل لك أن تأذنى له بذلك لعله أن يقتنع ويكف عن المطالبة بحملها إليه .
- ميمونة : معاذ الله هذا حرام .. حرام أن نكشف جسمها لرجل أجنبى .
- إسماعيل : ويلك أتركها تموت لئلا نكشف جسمها لرجل أجنبى ؟ إن الله لا يرضى بهذا .
- ميمونة : ما علمك بأحكام الدين ؟ أنت جندى جاهل لا تعرف الحلال والحرام .
- ميمونة : هاأنذا قد أندرته . إن الرجل قد أقسم ليحملن زوجته إلى داره بالقوة !
- كوثر : دعوه يا أمى يحملنى إلى داره .. دعوه يعلم كل شيء .. دعوه يعلم أننى ..
- ميمونة : (تسد فم كوثر يدها) اسكتى !
- كوثر : (تهب من فراشها بقوة) كلا .. لا أسكت بعد اليوم ..

يجب أن يعلم أى كل شيء ! يجب أن يعلم عبد التواب كل شيء .

- ميمونة : (تحاول إسكاتها) كوثر !
كوثر : اعلم يا أبى أن ابتك حبلى !
إسماعيل : ويلك ما تقولين !
كوثر : إى والله يا أبى لست مريضة ولكنى حبلى ! (تنزل عن فراشها) اقتلنى يا أبى واه عارى عنك !
إسماعيل : أواه : لطالما استغربت هذا التدثر والتكتم . بيد أن أمرا كهذا لم يخطر لى ببال : (يلتفت إلى ميمونة محتدا) ويلك كيف كنت عنى هذا يا امرأة ؟
ميمونة : والله لولا خوفى أن ينطق به لسانك لبعض أصحابك الشيوخ لأخبرتكَ .
إسماعيل : هذه تربيتك !
ميمونة : بل هذه عاقبة تدليلك . والله ما أفسدها غيرك !
إسماعيل : علام يا كوثر أتيت هذا ؟ بأى وجه ألقى الناس غدا ؟
كوثر : اقتلنى يا أبى فما يستر عارى إلا القبر .
ميمونة : هذا قضاء الله قد وقع ولا سبيل إلى دفعه ، والله يأمرنا بالستر وينهانا عن الفضيحة .
إسماعيل : كيف السبيل إلى الستر وعبد التواب قادم إلينا الساعة ليحملها إلى داره ؟
ميمونة : اذهب إليه وقل له يؤجل حملها إلى داره بضعة أيام لعلنا نستطيع إجهاضها قبل ذلك .. سنلتبس قابلة أخرى غير

- أم جابر .
- إسماعيل : كلا لا أقدر أن أرى وجهه .. لا أقدر أن أرى وجه أحد ؟
(يسمع قرع على باب الدار)
- إسماعيل : ويلي .. هذا عبد التواب لا محالة قد جاء .. ماذا نصنع الآن ؟ ماذا نقول له ؟
- ميمونة : عودي يا كوثر إلى فراشك .. تدثرى بأعطيتك . لا شأن لكما به .. سأكلمه أنا بنفسى .
- إسماعيل : ماذا أنت قائلة له ؟
- ميمونة : سأقنعه بإبقائها عندنا بضعة أيام آخر .. هيا كوثر !
- كوثر : أتريدون أن تغشوا الرجل ؟ قولوا له الحقيقة وليطلقنى فأنى لا أصلح له .. والله لأقولن له الحقيقة وليكن ما يكون !
- ميمونة : (تجر كوثر إلى فراشها) استرى فى فراشك ويلك ! أتريدين أن تفضحيننا ؟
- كوثر : (تضطجع على سريرها وتدثر) قولوا له الحقيقة والتمسوا منه الستر فإنه رجل كريم .
- ميمونة : دعى هذا الأمر لى .. لا شأن لك . (يسمع قرع الباب أشد من الأول) قم افتح يا إسماعيل .
- إسماعيل : لا يا ميمونة .. لا تحملنى رجلاى .. افتحى له أنت !
- ميمونة : إياكما أن يظهر عليكما شيء .. لا تخافى .. سأسوى الأمر كله معه . (تخرج مهرولة)
- (يتوجه إسماعيل نحو الباب ليخرج)

كوثر : (متوسلة) ابق هنا يا أبى .. لا تتركنى وحدى ..
إسماعيل : أى نفع يا كوثر فى بقاءى عندك ؟
كوثر : قل له الحقيقة يا أبى وليطلقنى فأنى لا أصلح له ، وارجعه أن
يسترنى فإنه سيقبل رجاءك !

(تدخل ميمونة فتدنو من سرير كوثر وتسوى
أغطيتها)

ميمونة : (بصوت خافض) قد جاء بأخته آسية معه .. ادخل
حجرتك يا إسماعيل ..

إسماعيل : (يتنفس الصعداء) الحمد لله ! (يخرج من اليمين)
ميمونة : (تتوجه نحو الباب الأيسر) هلمى يا آسية ، هلم يا عبد
التواب .

(تدخل آسية وعبد التواب)
آسية : (تدنو من كوثر فتصافحها) كيف أنت يا كوثر ؟ لعلك
بخير ..

كوثر : (يغلبها البكاء دون أن تحير جوابا) .. ؟
عبد التواب : لا تبتئسى يا كوثر .. سيزول غدا كل شئ .. (يقبل
رأسها)

ميمونة : (تشير لهما إلى المقعد) مرحبا بكما .. هلما اجلسا .
عبد التواب : شكرا يا خالة .. ما هذا بوقت الزيارة ولا وقت الجلوس ،
إنما جئنا لنأخذ كوثر معنا ألم يخبرك عمى إسماعيل بما قلت
له ؟

(السلسلة والغفران)

ميمونة : (تخفى اضطرابها) بلى .. قد أخبرنى إسماعيل ، ولكن
كوثر ما تزال مريضة ، وليس من الخير لها أن تنقل من دار
إلى دار .

عبد التواب : قد طال بقاؤها عندكم وإن دارى لأولى من داركم .
ميمونة : كلاً يا عبد التواب لا أستطيع أن أتركها تبرح دارنا وهى
على هذه الحال .

عبد التواب : إنى والله لا أدرى ما خطبكم معى . إنكم لتخرجون من
رؤيتى إياها واقترابى منها كأنما أنا رجل غريب .

ميمونة : ماذا تريد أن ترى منها يا عبد التواب ؟

عبد التواب : أريد أن أرى موضع العلة !

ميمونة : أطيب أنت !

عبد التواب : سبحان الله .. إنى زوجها وللزوج أن يرى من زوجته ما
يريد .

آسية : لعل اللمس يؤلمها يا عبد التواب .

ميمونة : نعم .. إن أقل لمس يجعلها تصرخ من الألم .

عبد التواب : (يقترب من كوثر) اطمئنى يا خالة فإنى أرفق بها مما
تظنين ..

ميمونة : (مرتاعة) لا يا عبد التواب لا تفعل .. إنك ستؤلمها ..
ستجعلها لا تنام الليلة من الألم ..

كوثر : (بصوت يخالطه البكاء) دعيه يا أماء يعرف كل شيء ..
عبد التواب : أجل .. يجب أن أعرف كل شيء .

ميمونة : (تحول بينه وبين كوثر) كلا .. لا تمد إليها يدك .. لن أدعك تلمسها أبدا .. ابتعد عنها ..

عبد التواب : دعيني أعرف ما بها .. لا بد أن أعرف كل شيء .

ميمونة : (تدفعه عن كوثر) ! كلا !

كوثر : (تكشف الأغشية عنها) بل انظر يا عبد التواب ! إني كما تراه .. حبلى ! (تتحجب) .

ميمونة : (تدع عبد التواب وشأنه وتستتر عينيها يديها) آه .. وافضيحتاه !

عبد التواب : (يرنو إلى كوثر هنيئة وهو واجم يتمور وجهه بالحزن العميق ثم يتمم) إذن فقد كان كل ما نخشيتُه حقا كله ! (يتهاوى متقهقرا حتى ينطرح على المقعد)

كوثر : (بصوت يخنقه البكاء) اقتلني يا عبد التواب .. إنني أستحق القتل (تتحجب) .

عبد التواب : (متمتا كالذاهل عما حوله) السلسلة .. السلسلة .. السلسلة !

آسية : (تدنو منه مواسية) هون عليك يا عبد التواب .. هذا يا أخي مكتوب .. ماذا في وسعك أن تصنع ؟ ما هذا بذنبك !

ميمونة : (مستعطفة) ساعها يا بنى .. فإنها حديثه السن جاهلة ! عبد التواب : (كالذاهل) أساعها ؟ !

ميمونة : نعم .. ساعها واستر علينا .. ستر الله عليك !

عبد التواب : (ماضيا في شبه ذهول) السلسلة .. السلسلة !
كوثر : إن لم تشأ أن تقتلني فطلقني .. طلقني يا عبد التواب فأني
لا أصلح لك !

ميمونة : نعم يا بني .. طلقها إن شئت .. ولكن استر فضيحتنا ..
ستر الله عليك !

عبد التواب : (كأنه يفيق من ذهوله) كلا لن أطلقها يا خالة ..
ميمونة : (جزعة) فماذا تريد أن تصنع بها ؟ أتريد أن تفضحها في
الناس ؟ حنانيك يا عبد التواب استرنا .. استرنا .. إن الله
يحب الستر .

عبد التواب : لن يعلم أحد سوانا بما وقع .. هي زوجتي أمام الله وأمام
الناس .. والجنين الذي في بطنها ..

ميمونة : سنسقطه يا عبد التواب .. سنجهد في إسقاطه !
عبد التواب : كلا يا خالة .. إنه ولدي سأخذ كوثر الليلة معي وسوف
تضع مولودها في داري .

ميمونة : (بين الفرح والشك) ماذا أسمع يا عبد التواب ؟ أحقا يا
بني أنك لن تطلقها ولن تفضحها .. ولن تمسها بسوء ؟
عبد التواب : قسما بالله العظيم يا خالة إني لصادق فيما قلت (يدنو من
كوثر) هيا يا حبيبتى استعدي الآن للذهاب إلى دارنا فأنتها
تنتظرك !

كوثر : (باكية) كلا يا عبد التواب .. إني لا أصلح لك .
عبد التواب : إن كنت ترينني غير جدير بك يا كوثر ..

كوثر : بل أنت جدير بخير مني .. أنا يا عبد التواب غير جديرة بك !

عبد التواب : دعى عنك هذا يا كوثر .. إنك لا تعلمين مبلغ حبي لك وحناني عليك .

كوثر : أنا لا أستحق حبك وحنانك !

عبد التواب : لو لم تستحقيهما لما زرعهما الله في قلبي لك . لطالما اشتيت يا كوثر قليلا من رضاك وعطفك .. وهأنذا أراها اليوم يفيضان من عينيك فينزلان على قلبي بردا وسلاما .. فما أسعدني بك !

(يسط ذراعيه لها)

كوثر : (تعانقه باكية) عبد التواب !

عبد التواب : (يقبلها) كوثر !

كوثر : ما أكرمك وأعظمك !

عبد التواب : أنت الليلة رائحة معي .

كوثر : أنت سيدى وأنا أملك فمهما تأمرنى فلك السمع والطاعة !

عبد التواب : بل أنت يا كوثر حبيبتى وزوجى .

ميمونة : ما أكرمك يا عبد التواب .. صانك الله يا عبد التواب !

إسماعيل : (يسمع صوته من ناحية الباب الأيمن) ما أكرمك يا عبد

التواب .. هل لي أن أدخل فأقبل رأسك ؟

آسية : (تأخذ بيد كوثر وتهبها) هلمى أهيك يا كوثر

وأساعدك في جمع متاعك (تخرج بكوثر من الباب

(الأيسر)

(يدخل إسماعيل)

عبد التواب : (يمد يده ليصافحه) مرحبا بعمى إسماعيل !
إسماعيل : ما أنبلك يا بنى .. دعنى أقبل رأسك ويديك !

(يهوى على يده يلثمها)

عبد التواب : (يسحب يده) أستغفر الله يا عمى .
ميمونة : (تهجم على يده فتلثمها) نحن عبيد إحسانك يا عبد
التواب !

عبد التواب : (يسحب يده) أستغفر الله يا خالتي .. هذا لا يجوز .
ميمونة : هذا والله قليل فى حقلك !

إسماعيل : لقد سترت عرضنا .. ستر الله عرضك .
عبد التواب : والله ما سترت إلا عرضى فأى فضل لى فى هذا عليكم ؟
ميمونة : والله لأبوسن قدميك يا سيد الرجال ! (تجثو على قدميه
تلثمهما) .

إسماعيل : وأنا والله لأبوسنهما (يفعل مثل ميمونة) .
عبد التواب : (ينهضهما ويلثم رأسيهما) أستغفر الله .. أستغفر الله هذا
لا يجوز ! .

(ستار)

الفصل الثالث

بعد مرور سبع سنين من حوادث الفصل الثاني

المشهد الأول

في منزل عبد التواب . نفس المنظر كما في المشهد الأول
من الفصل الأول .

(الوقت عند الزوال)

(يرى أسامة وشافعة داخلين إلى الحجرة يجريان
ويلعبان فيها) . (تدخل صالحة)

صالحة : اخرجوا من هنا يا شقيان .. لا تلعبا هنا .. اخرج يا
أسامة .

أسامة : كلا لا أخرج .. سألعب هنا مع أختي .

صالحة : سأدعو لك أمك لتضربك .. هلمى معي يا شافعة ..
اتركيه ستضربه أمك .

(تأخذ بيد شافعة لتخرج بها) .

أسامة : (يجذب يد أخته من يد صالحة) لا .. لا تخرجي يا
شافعة ، ابقى هنا معي ..

- صالحه : ويلك يا شقى ! (تحاول أن تسحبه لتخرج به)
 أسامة : (يركلها برجله ويصيح) دعيني هنا ! (ترسل يده)
 صالحه : تعالى يا شافعة .
 شافعة : لا .. سأبقى هنا مع أسامة .
 (يتوجه الطفلان ناحية الأريكة فيشب أسامة فوقها
 ويقف على الوسائد متطاولا إلى الرف فيتناول حقنا
 صغيرا من العاج) .
 صالحه : لا تلمس هذا .. رده إلى مكانه .
 أسامة : (ينزل من على الأريكة ويده الحق) لا .. هذا حقى .
 صالحه : ستضربك أمك إن رأيته في يدك .
 شافعة : (تلدنو منه) أرني هذا يا أسامة .
 أسامة : (يناوله لها) إياك أن تأخذه لك .
 شافعة : هذا حقى .. أعطاه لى أبى أمس .
 صالحه : هذا حُق الطيب .. ليس لك ولا لأخيك .
 أسامة : رديه لى .
 شافعة : لا .. هذا حُقى (تحاول الفرار به) .
 أسامة : رديه لى (يلحقها فيدفعها فيسقطها على الأرض وينتزع
 الحق منها) .
 شافعة : (تنفجر صائحة) أمى ! أمى ! (تتلوى على الأرض
 وتحاول صالحه أن تحملها فتأبى) أمى ! أمى ! (تدخل
 كوثر)

- كوثر : ماذا بك يا شافعة ؟
 شافعة : (تصيح) أسامة ضربنى وأوقعنى على الأرض !
 كوثر : ويلك يا عفريت يا شقى (تلطمه فى وجهه لطمه قوية) .
 أسامة : (ينفجر باكيا) عمتى ! عمتى !
 كوثر : اسكت ويلك ! (تلطمه ثانية) .
 أسامة : (يتعالى صياحه) عمتى ! عمتى ! (يجرى نحو الباب) .
 كوثر : (تنهض شافعة من الأرض) قومى يا حبيبتى .. لا بأس عليك . (تدخل آسية) .
 آسية : (تقبل على أسامة) مالك تبكى يا حبيبى ؟ هل أحد ضربك ؟
 أسامة : (يشير إلى أمه) هذه ضربتنى .. هنا فى وجهى !
 آسية : فيم يا كوثر ؟ حرام عليك !
 كوثر : دعيه .. إنه يستاهل أكثر من هذا .. ضرب أخته شافعة وأوقعها على الأرض .
 أسامة : كلا ما ضربتها ولا أوقعتها .
 آسية : لا حق لك يا كوثر .
 كوثر : هذا ولد كذاب .. سلى صالحة .
 صالحة : نعم هو الذى أوقعها .
 أسامة : كذابة !
 كوثر : ويلك .. من أوقعها إذن ؟
 أسامة : أخذت منى الحق وراحت تجرى فوقعت !

- آسية : أى حق ؟
 أسامة : هذا الحق .
 آسية : هذا حق أهلك .. هاته يا حبيبي نعيده فى مكانه .
 شافعة : (تصيح) أريد الحق ! أريد الحق !
 كوثر : (تأخذ لها حقا آخر) خذى هذا يا حبيبتى ...
 أسامة : (يتباكى) أريد ذلك الحق يا عمتى .. أعطى هذا لشافعة .
 كوثر : اسكت وإلا ضربتك !
 آسية : لا تنهره هكذا يا كوثر . تعال يا حبيبي .. سأعطيك مثله
 (تأخذ من أحد الرفوف حقا أكبر فتعطيه له .)
 أسامة : (ينظر إلى شافعة) معى الآن حقان !
 كوثر : هذا لا يصلح له التدليل يا آسية .. ليس له إلا الضرب .
 أسامة : لا تقدرين على ضربى الآن .
 كوثر : سأريك الآن يا شقى (تهم بضربه) .
 أسامة : (يلوذ بعمته) عمتى ! عمتى !
 آسية : لا تخف يا أسامة .. لن أذعنها تضربك .. خذيهما يا صالحة ليلعبا فى الفناء .
 صالحة : هلما معى ..
 أسامة : (يلتفت إلى شافعة) هيا بنا يا أختى نلعب ..
 شافعة : لا .. لا أريد أن ألعب معك .
 أسامة : سألعب أنا وحدى ! (يخرج)

- آسية : اخرجني معه يا صالحة .
- صالحة : سمعا يا مولاتي (تتوجه نحو الباب) .
- شافعة : وأنا يا أمي !
- كوثر : خذنيها معك يا صالحة .
- صالحة : تعالى يا بنتي (تحملها فتخرج بها)
- كوثر : إنك تدللينه كثيرا يا آسية .
- آسية : وأنت تضربينه كثيرا يا كوثر .. حرام عليك !
- كوثر : تحبانه أنت وعبد التواب أكثر من شافعة !
- آسية : لا يا كوثر .. هما عندي في منزلة واحدة .. أما أبوه فيحبه أكثر منها لأنه غلام والرجال دائما يفضلون الذكور على الإناث .
- كوثر : إنما تفعلان ذلك من أجل تطييبا لخاطري ، وإن هذا التمييز منكما ليحزنني ويغم قلبي إذ يذكرني دائما بزلتي .
- آسية : ويحك يا كوثر .. دعي عنك هذه الوسواس ، فوالله ما يجول ذلك في خاطري ولا في خاطر عبد التواب . والله ما ننظر إليه إلا كما ننظر إلى أخته شافعة ، فإن رأيت منا بعض الميل إلى إثاره فلكي نعدل بينهما لما نرى من تحاملك عليه .
- كوثر : (متأثرة) يا ليتته مات ! إذن لا استراح قلبي .
- آسية : استغفرى الله يا كوثر .. كيف تتمنين موته وهو عزيز على أبيه ؟ حذار أن يسمع عبد التواب هذا منك ..
- كوثر : إنه مصدر شقائي وهي .

- آسية : ما ذنب الطفل المسكين يا كوثر ؟
- كوثر : أجل .. ما ذنب الطفل المسكين ؟ إنه ذنبى ! (تبكى) .
- آسية : ألم أنهك مرارا عن التفكير فى هذا ؟ انسى هذا الخاطر جملة واحدة .. اعملى هذا من أجل زوجك عبد التواب فإنه يحبك ويحزنه ما يحزنك .
- كوثر : حرام أن يتحمل عبد التواب تبعة جرمى وإثمى !
- آسية : لا لا يا كوثر .. لقد أسرفت اليوم فى ضلالك .. أما تعلمين يا أختى أن عبد التواب كان دائم الاتقباض كثير الأرق فما عاد إلى بشاشته الأولى واطمئنانه إلا يوم ولدت له هذا الغلام الميمون ؟ إن كنت تحبينه يا كوثر فاطردى هذه الخواطر عنك ، فإنى لا آمن أن يبصر أختى اكشاك هذا فيعود له همه وأرقه . اصنعى هذا من أجلى فليس له فى الدنيا غيره .
- أسامة : (يسمع صوته مقبلا من جهة اليمين) ألى جاء ! ألى جاء !
- آسية : امسحى دموعك يا كوثر .. لا تذرى زوجك يرى أثرها فى عينيك . ابتهجى يا أختى وكونى عاقلة . (تمسح كوثر دموعها) .
- أسامة : (يدخل منطلقا وهو يتوثب من الفرح) ألى جاء يا عمتى .. ألى جاء !
- آسية : أين هو يا حبيبى ؟
- أسامة : لحتته من بعيد فنجئت أجرى . سأفتح له الباب (ينطلق من

جهة اليمين فيخرج وهو يردد (أوى جاء ! أوى جاء !

آسية : أرأيت إلى ابنك .. ما أظرفه وأخف دمه !

كوثر : (يفتقر ثغرها عن ابتسامة خفيفة) ولد شقى !

. (تدخل صالحة تحمل شافعة بين ذراعيها) .

صالحة : مولاي يا سيدتى قد جاء .

آسية : قد سبقك إلى إخبارنا أسامة .

صالحة : أين هو ؟ نط من حجرى وانطلق .

آسية : جرى ليفتح لأبيه .

(يدخل عبد التواب حاملا أسامة بين ذراعيه يضمه

ويقبله)

أسامة : أنا فتحت لك يا أوى !

عبد التواب : نعم يا ولدى .. أنت خير من هؤلاء كلهم !

أسامة : لمحتك من بعيد (يمد كلمة بعيد) فجزيت .

عبد التواب : (ضاحكا) لمحتنى من بعيد (يقلده فى مد هذه الكلمة)

فجزيت (ينزله إلى الأرض) ما أحلاك ! (يلتفت إلى

شافعة) .. هل تعرفين أن تفتحى لأبيك (يأخذها من

ذراع صالحة فيضمها ويقبلها)

شافعة : نعم يا أوى أعرف (يعيدها لصالحة) .

آسية : دعى الأولاد هنا يا صالحة واذهبى إلى المطبخ .

صالحة : (تنزل شافعة إلى الأرض) سمعا يا مولاتى (تخرج) .

أسامة : أين الهدية يا أوى التى وعدتنى بها اليوم ؟

- كوثر : (تحاول أن تجذبه) تعال دعه أولا ليسترخ .
أسامة : (معرضا عنها) أين الهدية يا أمي ؟ أنسيت ؟
عبد التواب : لا يا ولدي .. ما نسيت .. ها هي ذى (يخرج من جيبه صفارة فيناولها له)
أسامة : صفارة ؟ لا يا أمي .. لا أريد صفارة .. ماذا أصنع بها ؟
أريد سيفاً يا أمي لماذا لم تأتني بالسيف ؟
عبد التواب : (يتغير وجهه قليلا) ما وجدت لك اليوم سيفاً ..
سأتيك به غدا .
شافعة : وأنا يا أمي .. أين هديتي ؟
عبد التواب : (يخرج من جيبه لعبة) هذه لك يا بنتي .. انظري .. إنها عروس جميلة .
شافعة : (تحمل اللعبة) انظري يا أمي ماذا أعطاني أمي .
كوثر : (تحتضنها) يا لها من عروس حلوة .
أسامة : (ينظر إلى اللعبة) عريانة ليس عليها ثياب !
شافعة : (غابسة) عريانة يا أمي !
كوثر : سأصنع لها حلة من حرير ...
أسامة : غدا سيشتري لي أمي سيفاً .
آسية : ألا تريد يا عبد التواب أن تنام قليلا قبل الغداء ؟
عبد التواب : نعم والله .. إني لنعسان . (يتوجه إلى اليمين فيخرج)
أسامة : (يريد أن يتبعه) لا تنس السيف غدا يا أمي ..
كوثر : (تجذبه) تعال هنا !

- أسامة : (يقاومها) دعيني ..
- آسية : (تأخذ بيده في لطف) أبوك ذاهب لينام .. تعال معي يا حبيبي أرني الصفارة التي اشتراها لك أبوك .
- أسامة : (يسلمها الصفارة) أنا لا أريد الصفارة .. أريد السيف .
- آسية : (تضحك لكوثر) جندي مثل جده إسماعيل !
- كوثر : (يتغير وجهها) شقي مثل
- آسية : (تقاطعها متجاهلة) هذه صفارة جميلة يا أسامة (تنفخ فيها) انظر .. لها صوت حلو .
- صالحة : (تدخل) سيدتي ميمونة يا مولاتي .
- آسية : أهلا بها .. دعها تدخل .. جدتكم يا أولاد .
- الولدان : جدتي ! جدتي ! (يخرجان منطلقين) .
- كوثر : (متبرمة) ما جاء بها في مثل هذه الساعة ؟
- آسية : ويك يا كوثر .. البيت بيتها .. تجيء في أى وقت تشاء .
- هل نسيت أن أهلك لا يؤخرون الغداء مثلنا إلى قرب العصر .
- كوثر : لكنها تعرف موعد غداتنا .
- آسية : تعرف أن مواعده لم يأزف بعد .. يا ليتها تتغدى معنا والله !
- ميمونة : (تدخل ومعها الولدان متعلقين بها) كلا لا تهتموا بأمرى فإني قد تغديت . لسنا مثلكم .. إن إسماعيل يحب

التبكير بالغداء .

آسية : (تتبادل معها القبل) مرجبا بك يا ميمونة .. أين أنت ؟
لم نرك منذ أيام .

ميمونة : (تتبادل القبل مع كوثر) هأنذى كل يوم عنسكم .
(يجلسن) .

ميمونة : ما كنت أنوى الجيء الساعة لولا الحادث المروع ..

آسية : أى حادث ؟

ميمونة : ألم يبلغكم ؟

صالحة : (تدخل) هل أطعم الأولاد يا سيدتى الآن ؟

كوثر : نعم خذهم من عندنا الآن .

آسية : اذهبا يا ولدوتى لتطعمكما صالحة .

(تخرج صالحة بالولدين)

كوثر : ماذا حدث يا أماه .. أين ؟

ميمونة : عندنا فى الحى .

آسية : ماذا جرى يا ميمونة ؟

ميمونة : (متلعثمة) أم مستور ..

آسية وكوثر : أم مستور !!!

ميمونة : نعم .. اينها قتل امرأته !

آسية : يا للخير الأسود ! متى كان هذا ؟

ميمونة : الساعة .. وقد هرع الناس إلى دارها من كل مكان فاكثظ

الحى بهم ، وما تفرقوا إلا حين جاء شرطة الأمير فساقوا

- الجاني معهم إلى السجن .
- آسية : يا إلهي .. لماذا قتل المجنون امرأته ؟
- ميمونة : سمعتهم يقولون إنه وجدها حيلة فذبحها .
- آسية : يا ستار يارب ! .. لكن ابنها هذا كان غائباً في جيش الأمير .
- ميمونة : نعم .. ما قدم إلا اليوم من الشام ، والله ما عز على إلا مقتل العروس الشابة .
- آسية : أجل .. يا ويح قاسم المغربي .. ماذا يكون حاله إذا بلغه مقتل أخته على هذه الصورة ؟ وأخى عبد التواب سيتألم كثيراً لهذا الحادث .. إنه شديد الحب والإعزاز لشريكه قاسم .
- ميمونة : وأين عبد التواب ألم يبلغه هذا الخبر ؟
- آسية : لا .. لم يبلغه بعد .. إنه جاء من الدكان آنفاً لينام القيلولة . والله إنى لأخشى أن يحدث له هذا النبأ أمراً لا نرضاه (تنهض) سأرى إن كان قد استيقظ لأتلفظ في إبلاغ النبأ إليه (تخرج) .
- ميمونة : (بصوت خافض) أفرحي يا كوثر ، فهذا قد انتقم الله لك من الجاني الأثيم .. جزاء عادل وانتقام بالغ يشفي الغليل !
- كوثر : (متأففة) أقصرى يا أماء فما هذا بموضع للشمانة .
- ميمونة : لم لا يا بنتي ؟ لقد سقاه الله كأساً سقانا بمثلها من قبل .
- كوثر : إن جاز لنا أن نشمت بالجاني فماذا جنت فوز علينا وماذا

- جنى أخوها قاسم المغربي فيستحقنا الشماطة ؟
- ميمونة : كل امرئ ذنبه في جنبه .
- كوثر : هذا قضاء الله يا أماء .. لعل المسكينة استدرجت فزلت .
- آسية : اتقى الله في الناس واسأليه دوام المستر . (تدخل آسية) .
- ميمونة : ماذا فعلت يا آسية .. هل أخبرته ؟
- آسية : لا إني وجدته نائما يغط فلم أشأ أن أزعجه .
- ميمونة : خيرا صنعت يا آسية .. دعيه يستريح .
- آسية : (تجلس) يا لها من حادثة مروعة !
- ميمونة : أجل .. اهتز لها الحي بأكملة ، وستهتز لها المدينة وتكون حديث الناس .
- آسية : ترى ماذا فعلت أم مستور ؟
- ميمونة : رأيناها تجرى في الشارع جائية ذاهبة وهي تلطم وتصيح « اتركوا لي ولدي ! ردوا لي ولدي ! » حتى غابت خلف موكب الشرطة .
- آسية : أستغفر الله العظيم .. لا أدري لماذا لا يقبل قلبي هذه العجوز المنكوبة ولا يرق لحالها أبدا . يخيل إلي أنها شؤم على كل من يعرفها أو يتصل بها . ما رأيها مرة قط إلا أنذرني قلبي بشر !
- ميمونة : إي والله إنها لامرأة شؤم .
- آسية : تزوج قاسم المغربي ابنتها فنكب بالإفلاس والسجن ثم نكب بوفاة زوجته ..

ميمونة : وتزوج ابنها أخت قاسم فقتلها هذه القتلة المنكرة .
 آسية : وما أذكر أن عبد التواب لقيها قط إلا انقبض صدره واغتم
 على الأثر . والله لطالما أردت أن أمنعها من دخول دارنا
 لولا أن أخى يعطف عليها ويرثي لمصابها فهو عطوف رقيق
 القلب . ثم هي بعد لا تنظر إلينا إلا بعين فيها الحقد
 والحسد !

ميمونة : صدق القائل : اتق شر من أحسنت إليه .
 (تسمع جلبة عظيمة من الداخل) .

آسية : يا ويلي .. ما هذا ؟

كوثر : هذا عندنا في الدار (تنهض لتخرج) .

صوت : (يتضح) أين عبد التواب ؟ أين غريمي عبد التواب ؟

صالحة : (صوتها) انتظري حتى أقول لمولاتي !

الصوت : دعيني يا فاعلة ! تنحى عن طريقى !

كوثر : (تترقد مرتجفة) يا ويلتا .. هذه أم مستور !

(تنهض آسية وميمونة مرتاعتين) .

آسية : ويلي .. ما جاء بها ؟ ماذا تريد ؟

الصوت : أين المجرم ؟ أين عبد التواب ؟

(يدخل أم مستور في هيئة شعثه وخلفها صالحة وخلف

صالحة الطفلان مدهوشين) .

أم مستور : أين أخوك عبد التواب ؟ (لكوثر) أين زوجك ؟

(لميمونة) أين زوج ابتك ؟ .. مالكن صامات ؟ أين

هو ؟ أين المجرم ؟

آسية : (تتقدم إليها متشجعة) املكى نفسك يا أم مستور ..

هذا قضاء الله .. تجلدى .. يحسن الله عزاءك ؟

ميمونة : نعم يا أم مستور .. إنا نعزيك في مصابك .. ألهمك الله

الصبر والعزاء .

أم مستور : (مزججة) ويلكما .. أى عزاء ؟ ابنتى ثم ابنى ! ابنتى

أمس ثم ابنى اليوم ! .. كل يوم نكية جديدة ! عبد التواب

هو السبب ! أين عبد التواب ؟ أين غريمى ؟

آسية : (محتدة) ويلك يا هذه .. ما ذنب عبد التواب ؟ أهذا

جزاء مساعدته لك وعطفه عليك ؟

أم مستور : والله لو أعطانى ملء الأرض ذهباً ما سألته ولا عفوت

عنه .

آسية : ماذا جنى عبد التواب ؟ ماذا فعل بك ؟ ماذا يحوجه إلى

عفوك ومغفرتك ؟

أم مستور : هو السبب فى كل ما نزل بى من مصيبة .. والله ما نكبنى

سواه .. حسيه الله ! حسيه الله ! خبرينى أين هو ؟

آسية : ويلك ماذا تريد منى ؟

أم مستور : (تلقت خلفها فتلصح أسامة) هذا ولدى ! هذا

ولدى .. ردوه لى ..

آسية : (لكوثر بصوت خافض) اذهبى يا كوثر فأيقظى

زوجك . أسرعى !

(تخرج كوثر متعثرة) .

صالحه : (تضم الطفل إليها) يا لك من مجنونة .. هذا ابن مولاي

عبد التواب . انظري يا هذه أين أضعت ولدك ؟

أم مستور : (تريد أن تهجم عليه) بل هذا ولدى .. دعوني آخذه

معي إلى داري .. والله لا أتركه لكم .. أنا أولى به منكم .

أنا جدته .. أنا جدته !

صالحه : كذبت .. جدته سيدتي ميمونة ؟

أم مستور : هذه أم أمه يا بلهاء وأنا أم أبيه .

صالحه : أم أبيه ! هاقد تبين الآن كذبك ! إن أم أبيه قد ماتت منذ

زمان بعيد وأنت لا تزالين حية !

أم مستور : حية تلدغك يا غيبة ! هاتي ولدى !

آسية : اهرجى به منها يا صالحه !

صالحه : علام يا مولاتي .. والله لا أدعها تدنو منه .. والله لئن

أذنت لي لأقضقضن عظام هذه العجوز المجنونة ! (تشر

عن ساعديها) .

أم مستور : اخرسى يا فاعلة ! هاتي ولدى .. أعطيني ولدى .. تعال

يا أسامة .. أنا جدتك .

أسامة : (مستندا إلى صالحه) ملعون أبو أمك !

آسية : اخرجى به يا صالحه ! (تخرج صالحه بأسامة وشافعة) .

أم مستور : (في رقة) يشتمني ولدى ! لا لوم عليه .. لا يعرف أبى

جدته .. غدا يعرف ! (تقف منكسرة) .

آسية : اذكرى ربك يا أم مستور واستعيزى بالله من الشيطان الرجيم .

(يدخل عبد التواب وخلفه كوثر)

أم مستور : ها هو ذا الشيطان الرجيم ! ها هو ذا الجانى الأثم ! هلم يا هذا أحاسبك على سوء عملك !

عبد التواب : (يقبل عليها) خفضى عليك يا أم مستور .. والله لقد آلمنى هذا المصاب الجديد .. والله ما علمت به إلا الساعة .. فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أم مستور : ويلك يا مجرم .. هذا المصاب الجديد من ذلك المصاب القديم ! أنت السبب فى كل ما أصابنى من النكبات ! أخربت بيتى .. أخرب الله بيتك !

عبد التواب : املكى عليك نفسك .. هل نسيت يا أم مستور أن قاسما صديقى فالنكبة نكبتى !

أم مستور : صديقك ! لا تستحى أن تدعوه صديقك وقد خنته فى أغلى شيء عنده ! آه لو يعلم قاسم بخيانتك !

آسية : ماذا تقولين يا عجوز السوء ؟ أتريدين أن تلصقى بأخى عبد التواب فضيحة امرأة ابنك ؟ ابجشى عن صاحبها فاذهبى إليه .

أم مستور : (تتمم) يا ليتها هذه إذن لكانت أهون !

عبد التواب : لا جناح عليها .. إن هول المصاب قد أطار صوابها .. اذهبن أنتن إلى الجناح الآخر واتركننى هنا وأم مستور لعلى

أعزبها وأواسيها .

أم مستور : ويلك .. أخشيت أن يعلمن بجريمتك ؟ أتظنني أسترها عليك بعد اليوم ؟ لا والله لا أتركك تعيش هكذا منعما مع زوجك وأولادك وابنتي في القبر وابني في السجن !

(تخرج النسوة الثلاث متعثرات في مشيهن)

عبد التواب : (بصوت خافض) ويلك يا أم مستور أتريدين أن تفضحي سر ابنتك المسكينة ؟

أم مستور : دعه يفضح ! دع الناس يعلموا به أجمعين ..

عبد التواب : صه .. اخفضي صوتك فستندمين على هذا .

أم مستور : لا والله لا أبالي .. لأعلن نذالتك وخيانتك لعرض صديقك ، ولأشهرن فضيحة زوجتك وتسترك عليها ديانة منك وقلة غيرة . بيض الله وجه مستور ابني .. ما كان ديوثا مثلك .. وجد امرأته حبل فذبجها ومسح بدمها عاره وما بالي بشيء في سبيل الشرف .. أنت يا ديوث سبب نكباتي كلها !

عبد التواب : ساعحك الله يا أم مستور .. بربك أصغى قليلا إلني . ليس من خيرك ولا من خير ابنك أن تعلنني ما ستر الله وأمر بستره . اصنعني هذا من أجل ابنك .

أم مستور : قد قضوا عليه بالحبس والتغريب .

عبد التواب : سينقضي أجل الحبس والتغريب .. اصنعني ذلك أيضا من أجل قاسم فإنه يعزك ويحنو عليك .

أم مستور : ماذا يصنع لي قاسم بعد اليوم ؟ إنه سيقطع عني — لا محالة — بره ونفقته بعد ما قتل ابني أخته . لقد حرمتني يا ديوث كل شيء . سيبلغه الخبر بالشام وشيكا فيقطع عني صلته . لقد فقدت كل عائل لي . من ذا يعولني بعد مستور وقاسم ؟

عبد التواب : لا تبغسي . سأكون أنا عائلك وسأجرى عليك مثل ما يصلك منهما معا . سأحيني يا أم مستور . هذا قضاء الله المكتوب .. هذه سلسلة الخطيئة انتظمتنا جميعا ولا يقطعها إلا الغفران .. اغفري لي يا أم مستور كيما تنقطع السلسلة !

أم مستور : (تطرق قليلا) أجل .. لا ينبغي للألسن أن تلوك عرض غيداء وهي في جوف القبر . ولكني سأنتقم منك وحدك .. سأخبر قاسم شريكك .

عبد التواب : ويحك يا أم مستور . هذا أشد على غيداء وأبلغ في إيذائها من ذاك . أتريدين أن تفسدي فيها عقيدة قاسم ؟ إنه ييكبها ويترحم عليها .. أفتريدين أن تدعيه بلعنها ويلعن ذكرها إلى الأبد ؟

أم مستور : (عهدا قليلا ثم تشور مرة أخرى) كل هذا منك ! لأخربن بيتك كما خربت بيتي .. لأشهرن زوجتك كوثر ! لأعلنن فضيحتها في الناس !

(تسمع حركة عند الباب الأيسر) .

عبد التواب : هذا حس قادم .. اخفضى صوتك !
أم مستور : لا والله لا أخفض صوتي .. لأطلقها مدوية !
عبد الجواد : (يسمع صوته) دعيني يا هذه أدخل !
آسية : (صوتها) كلا يا عبد الجواد .. لقد أمرنا ألا تدخل
عليه .. عنده أم مستور .

عبد التواب : هذا أخى عبد الجواد .. حذار أن تقولى شيئا أمامه .
أم مستور : دعه يدخل ... والله لأخبرنه !
آسية : (صوتها) إياك أن تدخل !
عبد الجواد : (صوته) إنهما يتشاجران .. لابد أن أحول بينهما
(يدخل عبد الجواد) .

أم مستور : ها أنتذا جئت يا عبد الجواد .. اعلم أن أسامة هذا الذى عند
أخيك ليس من صلبه .. إنه ابن زنا !

عبد الجواد : ويلك ما تقولين ؟
أم مستور : إني أعرف أباه الذى ارتكب الفاحشة مع أمه ! إن كان
عندك ذرة من النخوة والشرف فلتثر على فعل أخيك ،
واستلحاقه ولدا ليس من نطفته ، وإدخاله فى نسبك
ونسب آبائك !

عبد الجواد : (يظهر فى وجهه بصيص من الارتياح) ما بيتك يا
هذه ! ألا تعلمين أن هذا قول عظيم !

أم مستور : أى بينة تريد ؟ ألا تذكر أن كوثر هذه كانت مهاجرة له
حين أعرس بها ، فرخل إلى الشام وهى عذراء لم تمس ، ثم

رجع إليها بعد قرابة عامين ليجدها حيلى ؟

عبد التواب : اتقى الله يا أم مستور ..

أم مستور : اسكت .. دعنى أتم كلامى . قالوا عند ذلك إنها مريضة

يعرق النساء .. ألا تذكر يا عبد الجواد مرضها يعرق

النساء ؟ ذاك والله عرق الزنا لا عرق النساء . لقد وضعت

بعد ذلك بشهر واحد . فقل لى بالله متى أحبلها أخوك ؟

هل بعث بنطفته إليها مع ريح الصبا من الشام ؟

عبد الجواد : اتقى الله يا أم مستور .. إن الجنين قد يمكث عامين فى بطن

الحامل !

أم مستور : ويحك .. إننى أعرف أباه وأعرف المكان الذى كان يحتل

بها فيه !

عبد الجواد : من هو ؟

عبد التواب : ويحك يا أخى .. كيف تسألها وتصغى إليها ؟ أعرض

عنها . هذه امرأة قد جنت من هول المصيبة فهى تهذى بما

لا تعقل ؟

أم مستور : كلا .. ما أنا بمجنونة ولا هاذية .. إننى أعقل ما أقول .

عبد الجواد : تزعمين أنك تعرفين صاحبها فمن هو ؟

أم مستور : ابنى مستور !

عبد الجواد : ابنك مستور ! هذا لا يعقل !

أم مستور : انظر إلى وجه الغلام .. هل تراه يشبه أخاك أم يشبه ابنى ؟

عبد الجواد : كلا يا أم مستور .. إن الشبه لا ينفى البنوة ولا يثبتها ..

ولو كان ما تقولينه حقاً لما رضى أخى بهذا .. حاشاً لأخى
عبد التواب أن يرتضى هذا المنكر .

أم مستور : لعل أهلها سحره .. لعلهم عملوا له سحراً فارتضى هذه
الديانة وسكت عليها هو وأخته آسية !

عبد الجواد : (يطرق هنيئة ثم يرفع رأسه كأنما خطر له خاطر سار)
إني ما زلت في شك من صدق حديثك يا أم مستور ، فهل
لك أن تخبريني أين كان يلقاها ابنك مستور ؟

أم مستور : كان يلقاها في دارى !
عبد الجواد : هذا خير معقول . لو كان يلقاها في دارك لثم ذلك على
علمك وفي مشهد منك .

أم مستور : فقد تم ذلك على علمى وفي مشهد منى .. فهل اقتنعت ؟
عبد الجواد : (يغير لهجته ونظراته فيقول مهدداً) احفظى هذا السرى
أم مستور ولا تحدثى أحداً به ، فوالله لئن بلغ السلطان أمرك
هذا ليأخذنك بجريرة ابنك وليوقعن بك عقوبة
القوادات ، إن أميرنا أحمد لشديد الوطأة على العجائز
والقوادات ، فحذار أن تهمنى بأنك كنت تقودينها لابنك
الفاجر كما تقودين غيرها لغيره !

أم مستور : كلا لست قوادة .
عبد الجواد : لن ينفعك حيثذ دفاعك . إن الأمير ليأخذ القوادات
بمحض الشبهة والظنة .

أم مستور : أليسوا يقتلونهن ؟

عبد الجواد : بلى .

أم مستور : قدعهم يقتلونى .. لا أرب لى فى العيش بعد أن ماتت ابنتى وقضوا على ابنى بالحبس والنفى .

عبد الجواد : ويحك .. إن كان ابنك يعز عليك فما أحراك بكتمان هذا السر لئلا يضاعف عقابه وتضاعف مدة حبسه ونفيه إذا ثبت عليه أنه ارتكب جرما شنيعا آخر من قبل . هأنذا قد نصحك وأندرتك . إننى كاتب فى ديوان القضايا كما تعلمين ، فإن أبيت إلا الإضرار بأخى عبد التواب فسأشهد عليك بما قلت وأقودك إلى المحكمة !

أم مستور : (تطرق قليلا) حسبى الله منك يا عبد التواب .. الله يتقم لى منك !

عبد الجواد : انصرفى الآن إلى بيتك وثقى أننى سأبذل وسعى فى خدمتك .

أم مستور : ماذا تقدر أن تصنع لى ؟

عبد الجواد : إن أميرنا لا يقبل الشفاعات فى الحدود ، ولكنى سأسعى جهدى ليحففوا من عقوبة ابنك من أجل والدته العجوز التى لا عائل لها سواه .

أم مستور : (تنهض) شكر الله سعيك يا عبد الجواد .

عبد الجواد : (مزهوا) أرأيت يا أخى كيف صرفتها ودفعت شرها عنك .

عبد التواب : أجل لقد دفعت عنى شرا عظيما .

عبد الجواد : فاسمع الآن نصيحتي لك .

عبد التواب : قلها يا أخى فأنى مصغ إليك .

عبد الجواد : طلق زوجتك وتبرأ من طفلها الدعى .

عبد التواب : (يثور غاضبا) ويلك ما أنت وذاك ؟!

عبد الجواد : أو ليس هذا صحيحا ؟

عبد التواب : هبه كذلك فما شأنك أنت بزوجتى وما تداخلك فى

خويصة أمرى ؟!

عبد الجواد : هذا نسبى ، وعلى أن أحياه من دخول هذا الدعى فيه .

عبد التواب : (محتدا) اخرج من عندى ويلك أن يغربنى الشيطان

بك !

عبد الجواد : أتهددنى ؟

عبد التواب : نعم !

(تدخل آسية)

آسية : (لعبد الجواد) قد سمعت قولك وعرفت قصدك يا قاطع

الرحم يا معرة الآل يا صل الرمال !

عبد الجواد : أنت أيضا لا تبالين أن يدخل فى نسبنا شخص دعى !

آسية : والله ما بك حماية الشرف ولا حماية النسب ، وإنك لتبيع

شرفك بدائق تضيغه إلى ما كنزت من مالك أيها الشحيح

الجشع ، وإنما فكرت فى ميراث أخيك وهو حى بعد ، ففر

عليك أن يحجبك أسامة منه ، فأتيت ما أتيت . ولكن الله

سيخزيك وسيجزيك بسوء قصدك وشر عملك !

عبد الجواد : ويلك هذا ليس ابنه بل هو دعى .

آسية : هبه كما تقول فإن كوثر اليوم حبلى وستلد ابنا آخر ، فماذا تقول فيه أيها الجشع الطماع ؟ ألا تتقى الله يا رجل ؟ ألا تستحى أن تعد الأيام انتظارا لوفاة أخيك الشاب وأنت شيخ كبير فى آخر عمرك ؟ ما يدريك أنك لا تموت قبله ؟ عبد الجواد : كذبت يا أخت السوء ، إني إنما ابتغيت حفظ النسب ، وأشفقت على أخى عبد التواب من هذه التبعة العظيمة عند الله يوم القيامة ، فقد ورد عن النبي ﷺ فى ذلك نهى عظيم ووعيد شديد .

آسية : ألا تتقى الله أنت يا رجل قبل أن تأمر غيرك بتقوى الله ؟ أتظن أن الله يرضى عنك ولا يرضى عن أخيك وهو واصل الأرحام وكافل الأيتام ومغيث المحتاجين ومقيل العائرين ؟ إذا لم تستح فاصنع ما شئت !

عبد الجواد : إن من حقى أن أرفع هذا الأمر إلى القاضى وأطالب بحقى فى حماية نسبي .

آسية : افعل ما شئت ، فوالله لا تنال من وراء ذلك شيئا وستخسر كل شيء . ألغ ما جعلت له فى وصيتك يا عبد التواب فإن هذا لا يستحق أن توصى له بشيء .

عبد الجواد : (يلين لهجته) أوقد أوصيت لى بشيء يا أخى ؟ لماذا لم تخبرنى ؟

عبد التواب : ويحك يا أخى .: إن الوصية سر لا ينبغى أن يذاع .

عبد الجواد : ليت شعري بكم أوصيت لي .. لعلك ما نسيت أنني معيل محتاج وأنه لولا ابنك أسامة هذا لكنت عصبتك .

عبد التواب : أوصيت لك بسدس مالى .

عبد الجواد : بسدس مالك كله .. أليس كذلك ؟

عبد التواب : نعم .. فهل أرضاك ؟

عبد الجواد : هذا لا بأس به إن لم تبدد مالك قبل موتك في الإنفاق على الأجانب والأباعد . لقد أحسنت يا أخى إذ كتبت وصيتك فإن المرء لا يدرى متى يوافيه الأجل والأجل لا ينتظر . والله لولا أنك في غنى عنى وأن أولادى كثيرون محتاجون لأوصيت لك ، ولكن الله أغناك ولم يغتنى غنك .

آسية : إن أخاك عبد التواب لا يريد منك إلا أن ترعى حرمة .

عبد الجواد : ثق يا أخى أنني سأحفظ شرك وأرعى حرمتك في حياتك وبعد مماتك . أنشدك الله يا أخى إلا غفرت لي ما سمعت اليوم منى وعدده كآن لم يكن .

عبد التواب : يغفر الله لك يا أخى .. ما كان أغناك عن إيدائى في أهلى وولدى !

عبد الجواد : (ينهض) لن تسمع فيهم منى ما تكره أبدا .

عبد التواب : ألا تشهد الغداء معنا اليوم ؟

عبد الجواد : لا وأشكرك .. لا ينبغي لي أن أطعم خيرا مما يطعمه أهلى وأولادى ! ولكنى سأتى بهم يوما إليك فنطعم جميعا

عندك .

عبد التواب : افعل يا أخى وليكن ذلك فى يوم قريب .

عبد الجواد : قريبا إن شاء الله .. غدا أو بعد غد .

(يخرج ويخرج معه عبد التواب يشيعه) .

آسية : يا ويح عبد التواب .. لشد ما يلقي فى الحياة من عناء! أعانه الله .. أعانه الله !

(يعود عبد التواب فيتداعى وينطرح على الأريكة)

عبد التواب : ويحك يا أختى .. لقد لقيت اليوم فى سبيلى نصبا !

آسية : والله يا أخى ما أشفق من هذا النصب إلا عليك .. لعنة الله على أم مستور .. لا تأتى هذه المشئومة إلى دارنا إلا بكارثة !

عبد التواب : انظرى ماذا فعلت كوثر فأنى لأشفق عليها اليوم مما سمعت .

آسية : من حسن الحظ أن أمها اليوم عندنا .. سأرى ماذا فعلت (تخرج) .

عبد التواب : (يزفر زفرة حرى) آه ! آه ! السلسلة ! السلسلة !

(تغرورق عيناه بالدمع) يا إلهى إلام يمضى بنا هذا

الحال ؟ إلام تطرد هذه السلسلة ؟ أتراك يا ربى تأخذنى

بأوزار هذه الخطايا كلها ؟ هاأنذا يا ربى قد غفرت للذين

أساءوا إلتى وسامحتهم جميعا فألهمهم اللهم أن يغفروا لى

ويسامحونى ! اللهم اغفر لى ولهم إنك غفور رحيم

(يصمت قليلا ثم يعود إلى ابتهاله) اللهم إن كنت كتبت
في لوح قضائك أن ذبول خطيئتي ستمتد ما امتد بي أجلى
فاقبض اللهم روحى إليك وارحمى !

(تدخل آسية وميمونة وبينهما كوثر وهى متداعية باكية)

عبد التواب : ويحك يا حبيبتى .. ماذا يبكيك ؟

كوثر : (تجثو على ركبتيها أمام عبد التواب) طلقنى يا عبد

التواب فأنى لا أصلح لك . إنى امرأة خاطئة مذنبه ؟

عبد التواب : (ينهضها ويضمها إلى صدره) ويحك يا حبيبتى ما يحملك

على هذا ؟ أأست تحبينى يا كوثر ؟

كوثر : (باكية) نفسى فداؤك يا عبد التواب ، ولكنى لا أستحق

أن أكون زوجك وقد كان منى ما كان .

عبد التواب : دعى عنك هذا يا كوثر ، إن الله قد غفر لك ورحمنى بك ،

لقد كنت شقيا مسهد العين وقيد الجوانح حتى رضيت

عنى ليلة حملتك من دار أهللك إلى دارى ، فامتأ قلبى منذ

تلك الليلة سرورا وزال همى وغمى ودبت السعادة فى بيتى

ونعمت بك وبأولادى منك ، فكيف تريدن الليلة أن

تحرمينى أنسى بقربك وسعادتى بحبك ؟!

كوثر : قد سمعت من أم مستور اليوم ما سمعت وعرفت ذلك

الذى ..

عبد التواب : (مقاطعا) قد عرفته من قبل يا كوثر .

كوثر : عرفته من قبل !

(السلسلة والغفران)

عبد التواب : نعم .

كوثر : وكتمت عني طوال هذه السنين أنك تعرفه ! ما أعظمك
يا عبد التواب وما أحقرني في جنبك !

عبد التواب : بل ما أعظمك يا كوثر إذ تواضعت لله فرفعك ، وتكبرت
على الشيطان فلم يستطع بعد ذلك أن يدنو من سمائك !
كوثر : وأسامة .. ما أنت صانع في أمره وقد سمعت ما قال فيه
أخوك ؟

عبد التواب : لا تقيمي لعبد الجواد شأنًا ولا تعبأي بما قال ، فإنما دفعه إلى
ذلك فرط الطمع . وقد أرضيته بما طمع فلن يفتح فاه مرة
أخرى بكلمة سوء .

كوثر : لكنني لا أستحقك يا عبد التواب . طلقني يا سيدي وابغ
لك زوجة أخرى تصلح لك وتجدربك . (تنتحب) .
عبد التواب : (لآسية بصوت خافض) أحضري أسامة وشافعة .
آسية : سمعا يا أخي (تخرج) .

عبد التواب : كفكفي دموعك يا حبيبتى ولا تطلبي مني أمرا لا أقدر
عليه .

ميمونة : ويلك يا كوثر .. اسمعي لزوجك وأطيعي فإنه والله لسيدنا
جميعا .

(تدخل آسية ومعها أسامة وشافعة)

عبد التواب : هلما يا ولدي (يجمعهما في حجره) .

أسامة : لماذا يا أبى تبكي أمى ؟

شافعة : (قدنو من كوثر) لم تبكين يا أمي ؟

عبد التواب : إنها تبكى لأنى لم أجىء لها بهدية مثلكما .

شافعة : لا تبكى يا أمي .. سأعطيك هديتى .. خذها .

(تقدم لها لعبتها فتضمها كوثر إلى صدرها)

عبد التواب : وأنت يا أسامة ألا تعطىها هديتك ؟

أسامة : الصفارة يا أبى لا تصلح لها .

عبد التواب : لا بأس يا ولدى .. أعطها صفارتك !

أسامة : تكفى أمي هدية واحدة .. سأعطى هديتى لعمتى آسية .

(يعطى الصفارة لعمته آسية فتضمه إلى صدرها)

(يتضحك الجميع)

(ستار)

المشهد الثاني

(حجرة نوم في منزل عبد التواب . لها بابان أحدهما
(على اليمين) يؤدي إلى جناح الرجال والآخر (على
اليسار) يؤدي إلى سائر جناح الحريم .)

(يرفع الستار عن عبد التواب جالسا على سريره في
مشقة وإعياء ومن خلفه الوسائد تسند ظهره ، وقد
نهكته العلة فبدا صاحب الوجه نحيل الجسم غائر العينين .
وعنده أخوه عبد الجواد والقاضي بكار جالسين على
مقعد طويل قد أدنى إلى جانب سرير المريض .)

عبد التواب : هذا ما كان مني يا سيدي الشيخ في أمر امرأتي وأمر هذا
الغلام . والله يا سيدي ما أردت بذلك إلا وجه الله سبحانه
وتعالى ابتغاء مغفرته ورضوانه دون أن أتوخي حرمان أحد
حقه في الميراث ولا توريث أحد ما ليس بحقه .

بكار : طوبى لك يا عبد التواب . لقد عملت عملا أرجى عند الله
منه : سترت العرض وجبرت الكسر وغفرت الذنب
وقهرت النفس الأماراة بالسوء .

عبد التواب : والغلام يا سيدي الشيخ ؟

بكار : هو ابنك يا عبد التواب ترثه ويرثك .

عبد الجواد : (في إنكار) يرثه ؟

بكار : نعم .. قال النبي ﷺ : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

عبد التواب : (فرحا كأنه لا يصدق ما سمع) ماذا قال يا سيدى ؟

بكار : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

عبد التواب : الحمد لله ! لقد أفتانى قلبى بذلك من قبل .

بكار : أنت امرؤ قد قذف الله في قلبه نور التقوى فلا غرو أن

يهديك إلى الصواب في عملك .

عبد الجواد : لكن أخى يعلم يا سيدى أن الغلام ليس من صلبه ..

بكار : (يستشيط غضبا) ما أنت وذاك قبح الله وجهك !

عبد الجواد : معذرة يا سيدى الشيخ فما قصدت أن أغضبك .

بكار : أتخشى غضبى وويلك ولا تخشى غضب الله ورسوله ؟

(يلتفت إلى عبد التواب) خبرنى يا عبد التواب أنت

أرسلت أخاك هذا لأجنىء إليك ؟

عبد التواب : لا يا سيدى ولكنه قد أحسن إلّى إذ أتاح لى أن أراك

وأستفتيك .

بكار : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . لقد أراد

هذا أن يستعين بى على إبطال الحق وإحقاق الباطل فأخزاه

الله وعصمنى أن أكون مطيته .

عبد التواب : اغفر له يا سيدى فإنه لا يعلم .

عبد الجواد : أجل يا سيدى اغفر لى واعف عنى .

بكار : استغفر الله وتب إليه فالله وحده ولى المغفرة .

عبد التواب : ادع الله لي بالمغفرة يا سيدى فإني أخشى أن ألقى الله مثقلا
بخطاياى وذنوبى !

بكار : غفر الله لك يا عبد التواب . استبشر يا بنى خيرا وليكن
رجاؤك أكبر من خوفك ، ولا تكره لقاء الله فيكره الله
لقاءك . إنك — ما علمت — لرجل صالح وإن الله لتواب
رحيم .

عبد التواب : بشرك الله يا سيدى بالخير .

بكار : هل تأذن لي ؟ (ينهض) .

عبد التواب : إذا شئت يا سيدى .

بكار : أسأل الله لك العافية .

عبد التواب : والمغفرة يا سيدى .

بكار : والمغفرة . (ينهض عبد الجواد ليصعبه) لا .. لا أراك

تصحبني منذ اليوم ، ولكن شيعنى إلى الباب (يخرج
وخلفه عبد الجواد)

(تدخل آسية من اليسار)

عبد التواب : آنت هنا يا آسية ؟

آسية : نعم قد سمعت كل شيء .. الحمد لله الذى أخزى عبد

الجواد فباء بغضب الشيخ ومقته .

(تضجعه) استرح يا أخى فقد تعبت من الجلوس .

(يدخل عبد الجواد فى كآبة وانكسار)

آسية : ويلك يا هذا .. ماذا لقيت من سوء نيتك وتدبيرك ؟

ألا تكف يا رجل من طمعك وجشعك ؟

عبد الجواد : (يعرض عنها ويدنو من أخيه) اغفر لي يا عبد التواب
فإني قد أسأت وندمت .

عبد التواب : (يتنهأ) استغفر الله وتب إليه فالله وحده وليّ المغفرة .

عبد الجواد : لا أراك يا أخي ساخطا عليّ .

عبد التواب : قد دنا المورد يا عبد الجواد فماذا يعنيك سخطني أو
رضاي ؟

عبد الجواد : (في تردد) والوصية يا أخي ؟

آسية : أجل .. المال وحده هو الذي يعنك ! (لعبد التواب)

ألفها يا أخي فوالله إنه لا يستحقها !

عبد التواب : اطمئن يا عبد الجواد فإنها باقية كما هي .

عبد الجواد : أطال الله عمرك يا أخي .. والله لا أدرى كيف أقوم

بشكرك وارد بعض جميلك .

آسية : اكفه شرك وخلاك ذم .

عبد الجواد : (معرضا عن آسية) ألا تجعلني وصيا على أولادك يا عبد

التواب لعل أقوم لهم ببعض حقلك !

آسية : أنت ؟

عبد التواب : قد جعلت الوصاية عليهم لقاسم المغربي .

عبد الجواد : أتجعل عليهم رجلا قتلت أخته في منكر ؟ أليس عمهم أولى

بهم من زوج ابنة أم مستور ؟

عبد التواب : (يصمت قليلا) إنه أخي وشريكي . (لآسية) أين

صالحة ؟ على بها الساعة .

آسية : (تتوجه نحو الباب الأيسر) صالحة ! هلمى يا صالحة !
(تدخل صالحة) .

عبد التواب : هلمى يا صالحة . هل تعرفين دار أم مستور ؟

صالحة : نعم يا مولاي أعرفها .. هى بقرب دار سيدتى ميمونة .

عبد التواب : انطلقى إليها وقولى لها أريد أن أراها الساعة .

صالحة : سمعا يا مولاي (تخرج)

عبد التواب : (يئن أنينا خافتا) آه ! آه ! (تلحقه غشية) .

آسية : عبد التواب ! عبد التواب ! ماذا أصابك ؟

(لا يجيب) يا إلهى .. قد ثقل لسانه ! يا بؤسى !

عبد الجواد : لا تبتئسى يا آسية .. إن هى إلا غشية لحقته .

آسية : ويلك أتشتهى له شرا من هذا ؟

عبد الجواد : ما تقولين يا آسية ؟

آسية : كل هذا من عملك ! اخرج من هنا .

عبد الجواد : أظن دينتى من عند أخى وهو على هذه الحال ؟

آسية : ويلك .. دع زوجته تدخل لتراه .

عبد الجواد : أما هذا فنعم . (يخرج من اليمين) .

آسية : واهى عليك يا عبد التواب !

(تدخل كوثر ملتاعة وخلفها ميمونة)

آسية : أدركينى يا ميمونة !

كوثر : وامصيتاه ! وازوجاه ! (تلطم وجهها وتضرب

صدرها) .

ميمونة : مهلا يا ابنتى .. إن زوجك بخير .. إنما تعب قليلا فنام ..
ها هو ذا يتنفس كما يتنفس النائم .

كوثر : (تنفجر باكية) ويل لى .. كل هذا من جرأتى وجراء
أسامة ! قد قلت لكم إننى لا أصلح له .. ويلكم .. دعوه
يطلقنى وأريحوه منى ومن هذا الولد المشؤوم !

ميمونة : ويحك يا بنتى لا يسمعك فتزيدى ما به .

كوثر : يا ويح عبد التواب .. أنا سبب شقائه وعلته (تبكى) .

آسية : (تحضنها مواسية) كلاً يا كوثر والله ما كنت إلا منبع
سروره وبهجته . إني أعرف أخى قبل أن تعرفه .. لقد
كان كتيب النفس مؤرق العين يطوى صدره على هم دفين
وما عرف السعادة والبشر إلا يوم اطمأن إليك . والله ما
أورثه العلة والنكد إلا عبد الجواد وأم مستور !

ميمونة : متى يريحنا الله من هذه العجوز الملعونة ؟

آسية : أعاننا الله عليها .. كأنى بها آتية الساعة لتجهز عليه ..

ميمونة : يا ويلي .. ماذا يجيء بها الساعة ؟

آسية : عبد التواب يريد رؤيتها .. أرسل فى طلبها صالحة .

ميمونة : ما خطبه ؟

آسية : لا أدرى .. كأن الله سلطها علينا بلاء من عنده .

عبد التواب : (يفتح عينيه) ألم تعد صالحة بعسد ؟ ألم تحضر أم

مستور ؟

(السلسلة والغفران)

آسية : لا يا أخى .. لم تعد صالحة بعد . ماذا تشكو يا عبد التواب ؟

عبد التواب : لا شيء .. إني أريد أم مستور .. ابغوني أم مستور .
ميمونة : عما قريب تحضر أم مستور .
عبد التواب : كيف أنت يا كوثر ؟ لا تبتئسى فإنى بخير .. أين أسامة وشافعة ؟

كوثر : (بصوت حزين) فى فناء الدار يلعبان .
عبد التواب : إيتوني بهما . إني أريد أن أراها قبل أن .. قبل أن تجيء أم مستور .

آسية : سأتيك بهما الساعة (تهم بالخروج ولكنها تتردد راجعة) .
(تدخل صالحة)

صالحة : ها هي ذى قد جاءت يا مولاي .
عبد التواب : الحمد لله .. دعوني وإياها وحدنا .. إن لى معها حديثا .
(ينظر بعضهن إلى بعض ثم يخرجن)
(تدخل أم مستور)

عبد التواب : ألا تسلمين على يا أم مستور ؟
أم مستور : السلام من عند الله .
عبد التواب : (يحاول الجلوس) اعذريني يا أم مستور فإنى لا أقدر أن أقوم لك .

أم مستور : العليل قد يقوم ولكن الموتى لا يقومون !!
عبد التواب : (يمد إليها يده فتصافحه بغير نية) هلمى اجلسى يا أم مستور .

أم مستور : (تجلس) هل بعثت في طلبى .. ماذا تريد منى بعد ؟
عبد التواب : (مستعظفا) أريد عفوك يا أم مستور وغفرانك !
أم مستور : ما حاجتك اليوم إلى عفوى وغفرانى وقد أطبقت فمى على
سر زوجتك وابنها الذى أدخلته فى نسبك ؟ أو تخشى أن
أفصح هذا السر بعد موتك ؟ إذا رن النواح عليك فما
يعيننى بعده سر زوجتك !

عبد التواب : حنانيك يا أم مستور ! والله ما هذا بالذى أخشى اليوم
منك ، ولكنى أخشى الله عز وجل أن يلقاه وأنت منى
موتورة ! (تنهمر الدموع من عينيه) إننى اليوم كما
ترين : إن بقيت الليلة لا أبقي غدا وإن بقيت غدا لا أبقي
بعد غد .. (يحنق صوته بالبكاء) والله ما ذقت طعم
الراحة منذ استأثر الله بغيداء إلى رحمته ، ولقد لقيت من
الجزاء ما أستحق به رثاءك يا أم مستور ومرحمتك !
أم مستور : (يترقرق الدمع فى عينيها) واهما على غيداء ! أنظن يا عبد
التواب أن الله يشملها برحمته ؟

عبد التواب : ويحك يا أم مستور .. لمن تتسع رحمة الله إن ضاقت على
غيداء ؟ حنانيك يا أم مستور إن الله قد غفر لها فاغفرى لهذا
الوجل الخائف من عذاب الله ! إن لم تغفر عني اليوم
فستندمين غدا على أن لم تسمعيني كلمة العفو قبل أن يصم
الموت أذنى فلا أسمعك ! (يتحجب) .

أم مستور : (يغلبها البكاء) حسبك يا عبد التواب قد عفوت عنك

وسامحتك فليغفر لك الله !

عبد التواب : (يتنفس الصعداء) الحمد لله ! اليوم ألقى ربي بنفس
مطمئنة !

أم مستور : ولكني يا عبد التواب لا أدري كيف أتمس عفوكم
ومسامحتك .. لطالما أسأت إليك وأنت تحسن إلي !
عبد التواب : يغفر الله لك يا أم مستور أنت في حل مني في الدنيا
والآخرة .

أم مستور : إنك لا تعلم إلا قليلا مما أسأت به إليك .
عبد التواب : بل أعلم يا أم مستور .. مغفور ذلك كله لك .
أم مستور : لا تعلم أنني أغريت مستورا بكوثر .
عبد التواب : بل أعلم ذلك يا أم مستور جزاء منك وفاقا . والله ما يحزنني
من عمل ابنك إلا أن الجزاء قد ناله بعد في زوجته .

أم مستور : يا ويح مستور . ما جنى عليه أحد سواي !
عبد التواب : لا تحزني فجدير به أن يسامحك .
أم مستور : لكنك لا تعلم يا عبد التواب أنني أوعزت إلى أم جابر القابلة
بأن تطاول كوثر ولا تجهض حملها حتى تجيء أنت من
الشام فترى وتسمع .

عبد التواب : بل قد علمت بذلك يا أم مستور وكان الخير فيما فعلت .
أم مستور : وإن جعلت أحرص أخاك عبد الجواد على أسامة .
عبد التواب : أما هذا فلم أعلم به إلا الساعة وهو مغفور لك . وما إخال
عبد الجواد كان بحاجة إلى تحريضك !

- أم مستور : أو تعفولي عن هذا كله ؟
- عبد التواب : قد سامحتك فيما أعلم ومالا أعلم .
- أم مستور : ما أكرمك يا بني وما أشد نخبلي مما أتيت في حقك .
- عبد التواب : لا تبشسي يا أم ميسور فقد كنت معذورة .
- (يسمع نقر خفيف على الباب فتدخل صالحة) .
- صالحة : معذرة يا مولاي .. سيدى قاسم المغربى جاء يعودك !
- عبد التواب : أين هو يا صالحة ؟
- صالحة : في الحجرة الكبرى يا مولاي مع .. مع ..
- عبد التواب : مع من يا صالحة ؟
- صالحة : (كالحائفة) مع سيدى عبد الجواد .
- أم مستور : (تنهض) يشفيك الله يا عبد التواب ويصون شبابك !
- اأذن لي أنصرف الآن يا بني .
- عبد التواب : بل ابقى قليلا يا أم مستور لأجمعك بقاسم فترضى عنه ويرضى عنك .
- أم مستور : كلا يا عبد التواب لا أريد رؤيته ..
- عبد التواب : فيم يا أم مستور ؟ إنه رجل كريم وقد كان براك فلا ينبغي أن تدوم بينكما القطيعة .
- أم مستور : هو الذى بدأنى بالقطيعة كأنما أنا قتلت أخته .
- عبد التواب : اعذريه فإن الفاجعة تذهل الحليم . إني سأكلمه الساعة وأجعله يعود إلى عادته القديمة معك .
- أم مستور : هيات . لقد كان محمولا على الصلة التى كانت تأتينى

منه ، ضيقا بها صدره ، فانتهر هذه الفرصة فقطعها عنى .
ولكن الله قد أغنانى عنها برك وصلتك . ويل لى .. كيف
كنت أكيد لك وأنت لى العائل والمعين .. واحسرتاه ..
إن ذهبت يا عبد التواب فمن ذا يعولنى بعدك ؟

عبد التواب : اطمئننى فقد جعلت لك فى وصيتى ما أرجو أن يكون عوننا
لك على دهرك .

أم مستور : (متعجبة) وذكرتنى فى وصيتك ! وانحجلتاه !
(تلذنو منه) دعنى أقبل رأسك يا بنى (تبلسل رأسه
بدموعها) نفسى فداؤك يا عبد التواب يا ليتنى أموت أنا
وتبقى أنت !

عبد التواب : ائذنى لقاسم يا صالحة .

صالحة : (لا تكاد تصدق ما ترى) سمعا يا مولاي (تخرج) .

أم مستور : هل تأذن لى يا سيدى فأنصرف ؟

عبد التواب : كما تشائين .. سأكلم قاسما فى أمرك .

أم مستور : جعلنى الله فداءك يا عبد التواب (تخرج) .

عبد التواب : الحمد لله فرغت من أم مستور وبقي قاسم . ليت شعرى
كيف أقضى بالسر الثقيل إليه ؟ كيف ..

(يدخل قاسم وعبد الجواد)

عبد التواب : مرحبا بك يا قاسم .

قاسم : لا بأس عليك يا أبا أسامة .. كيف تجدك اليوم ؟

عبد التواب : الحمد لله يا قاسم .

عبد الجواد : إنك الآن لبخير يا أخى .. لقد لحقتك غشية آنفا فخشينا عليك !

عبد التواب : ستأتى وشيكاً يا عبد الجواد الغشية التى ليس منها فواق !
عبد الجواد : بل يطيل الله عمرك يا أخى ويرحم شبابك .

عبد التواب : ربما يود قاسم أن يكلمنى وحدى فهل لك يا أخى ..
عبد الجواد : حبا يا أخى وكرامة .. إنما أردت أن أوصله إلى حجرتك (يخرج) .

قاسم : هلا أبقيت أخاك فليس عندى ما أسره إليك . إنما جئت لأطمئن على صحتك .

عبد التواب : لكن عندى حديث سر لك يا قاسم .

قاسم : خيراً إن شاء الله .

عبد التواب : كانت نجاتك أم مستور هنا عندى . أما برحت مقاطعاً لها يا قاسم ؟

قاسم : نعم .. ما عدت أطيق رؤيتها بعد الذى كان من ابنها يا عبد التواب . إنه فضح أختى ولوث سمعتى بدون بينة .

عبد التواب : لكن ما ذنب أمه يا قاسم .

قاسم : عندها وفى دارها وقعت الجريمة !

عبد التواب : لكنها ما كانت فى الدار إذ ذاك .

قاسم : لعلها تواطأت مع ابنها على الخروج .

عبد التواب : كلا يا قاسم .. لا يعقل أن ترضى لابنها الحبس والتغريب . لو رأيت كيف جن جنونها يوم الحادث لتقطع

قلبك رثاء لها وشفقة . إنها لتحبك يا قاسم وتعزك ، وإنها
بعد لأم غيداء رحمها الله .

قاسم : (يبدو في وجهه الحزن والرقّة) صدقت يا أخي فماذا
تريدني أن أصنع ؟

عبد التواب : تودها وتصلها كمعادتك معها من قبل .

قاسم : لك عليّ يا عبد التواب أن أصلها بما كنت أصلها به ،
ولكنني لن أغفر لها أبداً سوء كلامها في أختي .

عبد التواب : اعذرها يا أخي فقد نكبت بابنها بعد فجيعتها بابنتها ، فلا
غرو أن طار صوابها فلم تدر ما تقول ! اغفر لها يا قاسم فلن
تجدها إلا نادمة على ما قالت .

قاسم : لو غيرك عبد التواب استشفع لها إليّ !

عبد التواب : لا عدمتك يا أخي أو قد غفرت لأم مستور ؟

قاسم : نعم .. ساحتها كرامة لك .

عبد التواب : (تغرورق عيناه بالدمع وتضطرب شفثاه ويتهدج صوته
فما ينطق إلا بمشقة) وأنا يا قاسم ! ..

قاسم : ما خطبك يا أخي ؟

عبد التواب : وأنا يا قاسم ألا تغفر لي ؟

قاسم : ويحك يا عبد التواب .. ماذا تقول ؟ إني لأذكر أني سمعت
منك شبيه هذا من قبل .

عبد التواب : أجل يا أخي .. أفما آن لك اليوم أن تغفر لي ؟

قاسم : إني لا أفهم ما تعني .. أي ذنب يا عبد التواب جنيته عليّ

فأغفره لك ؟ أنا والله الجدير بأن أستسمحك لعجزى عن
الوفاء ببعض ما أسديت لى من معروف مهما أخلص لك
وأجهد نفسى فى خدمتك ، فقد خلصتني من السجن وأنا
مفلس لا أملك شيئا فنزلت لى عن حلى أختك لأبيعها
وأأخذ ثمنها رأس مال لى ، ثم خلطتني بنفسك وجعلتني
شريكك حتى حسن حالى فصرت اليوم غنيا بفضلك
ونعمتك .

عبد التواب : فبحق منزلتي هذه عندك إلا ما غفرت لى سيئتي .
قاسم : والله ما أعلم لك عندي من سيئة . ولكن إن رغبت فكل
سيئة لك مغفورة عندي من قبل أن تسأل مني ذلك .
عبد التواب : إنها لسيئة أعظم جدا مما يمكن أن يخطر فى بالك ! وأخشى
إن علمت بها ألا تقدر أن تغفرها لى .

قاسم : ثق يا أخى أنى سأغفرها لك مهما تكن . فأفصح عنها إن
شئت ليسترخ خاطري وخاطرك .

عبد التواب : هل تذكر يا أخى يوم استشرتني فى تزويج أختك لابن أم
مستور فحاولت أن أثنيك عنه ؟

قاسم : أجل يا عبد التواب . يا ليتني اتبعت نصيحتك .

عبد التواب : أتدري لم نهيتك عنه ؟

قاسم : لا يا عبد التواب .. لكأنما كنت تنظر بنور الله فأنكشف

لك ما فى ضمير الغيب .

عبد التواب : كلا يا قاسم ولكن كان مستور هذا قد انتهك عرض فتاة

شريفة ما زال يستدرجها حتى زلت معه ، فألقى في روعي
أن الله سيقم منه في زوجته بمثل ما ارتكب في زوجة غيره .

قاسم : فهلا كنت أخبرتنى بذلك ؟

عبد التواب : ما كان ذلك في وسعي يومذاك ..

قاسم : ماذا كان يمنعك ؟

عبد التواب : لقد خشيت أن أفصح سر تلك التي جنى عليها إذ كانت
زوج صديق عزيز لك .

قاسم : (في شيء من الذهول) ليت شعري من يكون هذا
الصديق ؟

عبد التواب : (في مشقة) إنه أنا يا قاسم !

قاسم : أنت ! ... زوجتك !

عبد التواب : أجل .. إنها كوثر زوجتي .. ما كنت لأفضي بسرها
إليك لولا حاجتي إلى عفوك ومغفرتك .

قاسم : ما تقول يا عبد التواب ؟ ما شأن هذا وشأني ؟

عبد التواب : ستعرف ذلك وشيكا يا قاسم . ألا يخطر لك الآن أن
تسألني كيف قبلت كوثر وتسترت عليها بعد هذا الذي
كان ؟

قاسم : أجل .. كيف ؟

عبد التواب : لأنني أنا الذي جنيت عليها ذلك .

قاسم : أنت ! إني لفى حيرة يا عبد التواب لا أكاد أعى ماذا تريد
أن تقول .

عبد التواب : إني كنت ارتكبت مثل هذه السيئة في امرأة صديق لي فوق
علي جزاؤها في امرأتى ، فأنا الذى جنيت عليها ذلك .

قاسم : يا إلهى !

عبد التواب : خبرنى الآن يا قاسم هل تستطيع أن تغفر لى ؟

قاسم : يا ويلتا .. أكانت .. ؟

عبد التواب : نعم يا قاسم .. بحق ضراعتى إليك فى آخر يوم لى من أيام
الدنيا وأول يوم لى من أيام الآخرة إلا ما غفرت لى يا قاسم
وعفوت عنى .. والله لقد ظل الندم من يومئذ يأكل
قلبى ، فهذا أوان انقطاع وتينى . أفتراك يا قاسم تتركنى
ألقى الله بوزرك محمولا على ظهري ومشدودا إلى عنقي
وفى وسعك أن تلقيه عنى بكلمة صغيرة تنطق بها شفئك ؟
ارحمنى يا قاسم ارحمنى فلعلك لا ترانى بعد يومنا هذا ..
قلها يا قاسم كلمة طيبة تصون وجهى من عذاب النار
وألقى الله بها راضيا مرضيا .

قاسم : (تنهمر دموعه) قد غفرت لك يا عبد التواب وعفوت
عنك !

عبد التواب : الحمد لله .. اليوم طابت نفسى واطمأن قلبي .. شكرا
لك يا قاسم . أنت صديقى فى الدنيا والآخرة (تبحظ
عيناه) اسمع يا قاسم .. ألا تسمع يا قاسم ؟

قاسم : (يغالب البكاء) ماذا يا عبد التواب ؟

عبد التواب : السلسلة !

- قاسم : السلسلة ؟
عبد التواب : نعم .. السلسلة .. أما تسمع صليلها إذ تنفصم عن عنقي ؟ أما تسمع صلصلتها يا قاسم .
قاسم : لا يا عبد التواب .. لا أسمع شيئاً .
عبد التواب : (فرحاً) ها قد انقطعت يا قاسم ! قد سقطت من عنقي ! هتني يا قاسم هتني .. أنا الآن حر طليق !
(يرتفع رأسه من الوسادة بغتة ثم يهوى عليها فتلحقه غشية) .
قاسم : عبد التواب ! عبد التواب ! (يهركه) عبد التواب !
عبد التواب : (لا يحيب) .. ؟
قاسم : يا إلهي .. ! (يتوجه نحو الباب الأيسر فينادي)
صالحة ! يا صالحة !
صالحة : (صوتها) لبيك يا سيدى !
قاسم : مولاك لحقته غشية .. ادعى مولاتك (يدنو من السرير فيوسع رأس عبد التواب ووجهه لثماً وتقيلاً) نفسى فداؤك يا عبد التواب ! من ذا يكون صديقى بعدك ؟ ما أطيبك أنحاً وأكرمك صديقاً ! (يسمع حس السنسنة قادمة فيخرج قاسم من اليمين) .
(تدخل آسية وكوثر وميمونة مهرعات يقفن حول عبد التواب) .
كوثر : وازوجاه ! واكرماه !
ميمونة : مهلاً يا بنتى فهذه غشية كالتى لحقتة أنفاً وسيفيق منها بإذن

الله .

آسية : (تنضح وجهه بماء الورد) اللهم لطفك يا رب ! قالت
لنا صالحة آنفا إنه كان بخير فماذا أصابه ؟

عبد التواب : (يفتح عينيه فيديرهما فيما حوله) عجباً .. هل كنت
الساعة نائماً ؟

آسية : نعم .. كنت الساعة نائماً يا أخى .

عبد التواب : يا ويلي !

آسية : ما خطبك يا أخى ؟ أما تستحب النوم ؟

عبد التواب : (كأنه لم يسمع ما قالت) كلا .. بل كنت يقظان .. خبرينى يا
آسية ألم يكن قاسم هنا عندى آنفا ؟

آسية : بلى يا عبد التواب .. كان هنا آنفا معك فلما رأيك نعست
خرج من عندك فدخلنا .

عبد التواب : (يتنفس الصعداء) الحمد لله ! لم يكن منا ما ما شهدت ،
لم يكن حلماً يا آسية بل كان حقيقة !

آسية : عم تتحدث يا عبد التواب ؟

عبد التواب : عن السلسلة ...

آسية : السلسلة ؟

عبد التواب : أجل يا آسية إنها تحطمت فانفصمت عن عنقسى ...
حطمها غفران قاسم .. هثينى يا آسية ... أنا الآن حر
طليق !

(ينظرون إليه متعجبات) .

عبد التواب : (ينظر إليهن) ويلكن .. أما تصدقننى ؟

ميمونة : بلى يا بنى .. نصدقك .

عبد التواب : حياك الله يا خالتي ميمونة !

ميمونة : شفاك الله يا عبد التواب وعافاك !

عبد التواب : لقد عوفيت الآن .. الحمد لله ! .

(تدخل صالحة ومعها أسامة وشافعة) .

عبد التواب : (ينظر إليهما متهللا) هلما يا ولدى .. هلم يا أسامة ...

هلم يا شافعة (ينطلقان إليه) أدنوهما منى أقبلهما !

(يقبل أسامة تحمله آسية ثم يقبل شافعة تحملها كوثر) ما

أشوقنى إليكما ... ما أحلاكما (يتأوه) آه ! آه !

آسية : ماذا بك يا عبد التواب ؟ ماذا تشكو ؟

عبد التواب : لا شىء يا آسية ...

آسية : خذى الولدين معك يا صالحة ...

صالحة : سمعا يا مولاتى .

آسية : اخرجنا مع صالحة (تخرج صالحة بالولدين) .

عبد التواب : (يشن أنينا خافتا) آه ! آه ! آه !

كوثر : ويحك يا حبيبى ماذا تشكو ؟

عبد التواب : لا أشكو شيئا يا حبيبتى .. (بصوت خافت) هذا الحق

قد جاء .

آسية : عبد التواب ... عبد التواب .

عبد التواب : نعم ..

آسية : هل تريد أن نصنع لك شيئاً ؟ شراب الليمون الذى تحبه ؟
عبد التواب : (بصوت ضعيف) لا وأشكرك يا آسية .
آسية : فشراب الورد ؟
عبد التواب : ولا هذا يا آسية .. المورد قريب ! أين الرباب يا آسية وأين أخواتها ؟

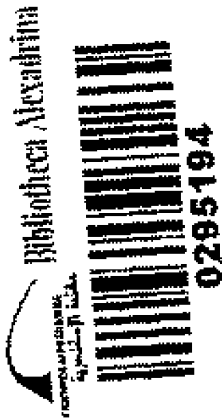
آسية : قد رجعت أمس يا أخى إلى بيوتهن .
عبد التواب : يا ليتنى أراهن .. يا ليتنى أرى الرباب !
آسية : غدا يا أخى تراهن .. سأرسل إليهن الليلة .
عبد التواب : غدا ؟ غدا يرينى ولا أراهن ! .
آسية : بل ستراهن ويرينك .. هل أبعث ليحضرن الليلة ؟
عبد التواب : لا .. لا تزعجهن فى بيوت أزواجهن .. غدا سيرينى .
(تسرع أنفاسه) أوصيك يا أختى بكوثر ..
وبأولادى .. وبصالحه .. وبأم مستور .. وبعيد الجواد
أخيك .. وأنت يا كوثر ...

كوثر : (باكية) نعم يا حبيبى .
عبد التواب : أوصيك بأختى آسية .. وبابنى أسامة ..
(يحاول الجلوس)

آسية : أجلس يا أخى ؟ (تساعد على الجلوس هى وكوثر) ..
عبد التواب : (جالسا تسنده النسوة الثلاث) يا بشرى اليوم ...
(يرفع بصره إلى السقف) سألقاك يا رنى بنفسى
مطمئنة .. سأرجع إليك يا رنى راضيا مرضيا ! (يضعف

صوته ويتقطع) أشهد .. أن لا إله .. إلا الله .. وأن ..
محمدًا .. رسول .. الله (في توسل وضراعة) اللهم ..
اغفر لي .. ما أعلم .. وما .. لا .. أعلم .. اللهم ...
اغفر .. للذين أسأت .. إليهم .. وللذين .. أساءوا ..
إلى (في صوت كالحشرة) اللهم افصم .. بغيرانك ..
سلاسل الخطايا .. من أعناق .. عبادك .. أجمعين .
(يخفق رأسه ويموت)
(يرتفع عويل النساء وندبين)
« ستار الختام »

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحة



الشمس ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

To: www.al-mostafa.com